

العلاقات بين نابليون بونابرت والحجاز

د/ عبد المعطى البيومى سالم الدرينى-أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه

أ - العلاقة بين مصر والحجاز قبيل الحملة الفرنسية :

ترتبط العلاقة بين مصر والحجاز بروابط متينة منذ العهد المملوكى ، فقد كانت الحجاز واقعة تحت الحكم المصرى المباشر تلقائياً ، وظلت على تبعيتها لعاصمة الدولة المملوكية (القاهرة) حتى إعلان الوجود العثمانى فى مصر سنة ١٥١٧م ، هذه العلاقة وإن كانت شديدة الحساسية بالنسبة للحجاز إلى مصر بغض النظر عن الدولة التى تحكمها أو تملكها وذلك لكونها مركز تجمع قوافل الحجيج الوافدة من شمال إفريقيا ووسطها من جانب ، علاوة على الأوقاف المحبوسة فيها على فقراء وأهالى الحجاز من جانب آخر (١)

فضلاً عن أن الحجاز كان يعتمد فى أحواله المعيشية إبان عصر السلاطين المماليك اعتماداً يكاد يكون كلياً على ما ترسله مصر من هبات وخيرات وما تدفعه من مرتبات لبعض الأشراف ، علاوة على وقوع ميناء جدة تحت الحكم المصرى المباشر الذى كانت تتخذ مصر قاعدة لتسيير أمور الحجاز ، فضلاً عن أهميته التجارية التى تقف على قدم المساواة مع أهميته الحربية باعتباره المدخل الرئيسى لبلاد الحجازية ، ولهذا فإن الأشراف الذين تركت لهم مهمة الحكم فى الحجاز مباشرة من مكة المكرمة كانوا يقدرون أهمية إرضاء السلطة الحاكمة فى مصر (٢).

وهنا لا يعنينا التعرض لتلك العلاقة بالتفصيل فقد سبق وتعرضت لها الكثير

من الدراسات بالبحث والتنقيب ، لكن التعرض لها من جانب هذه الدراسة يحتم علينا التعرض لجانب منها وهى التبعية لمصر ، فإذا كانت الحجاز تتبعها بالفعل فقد كان إلزام عليها أن تقوم بواجب الدفاع عنها ضد الفرنسيين بحكم تلك التبعية المباشرة ، أما فى حالة ثبوت تبعيتها غير المباشرة فهناك أقوال وآراء تخرجها من الإلزام المفروض عليها بعدائها للوجود الفرنسى فى مصر خاصة ما يرتبط منها بالجانب التجارى وهو صلب الدراسة ، والذى تم تناوله فى نتف بعض البحوث والدراسات ولم يتم عرضه كموضوع متكامل وهو ما سوف نتناوله فى تلك الدراسة إن شاء الله .

فمن المعروف أن مصر كانت سلطنة كبيرة تحت حكم المماليك يتبعها عدد كبير من الولايات العربية ومنها الحجاز ، وظلت الحجاز على تلك الأهمية بالنسبة لمصر إبان الحكم العثمانى ، فبرغم استقلال الحجاز الذاتى واعتراف العثمانيون بالحقوق الخاصة بوراثنة الأشراف فى الحكم وهو ما دفعهم لعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للحجاز وخاصة وراثنة العرش لكنهم فى حالات استثنائية فرضت عليهم التدخل كالصراع على الإمارة ، دون ذلك فقد خضعت جدة للنظام السياسى فى مصر ، أما مكة المكرمة فقد ألفت الدولة العثمانية تبعية إدارة شؤون الحجاز إلى والى مصر ، وهو ما عبر عنه القانون العثمانى فى القرن السادس عشر بتبعية الحجاز واليمن والحيش إلى مصر ، حيث رأت الدولة العثمانية أن من أهم واجبات مصر ، إدارة شؤون الحجاز ، وتقديم التقارير والمقترحات الخاصة بشؤون وولاية مكة ، وبرغم

أنها تركت حق الترشيح لمنصب الإمارة في مكة للأشراف لكنها قيدت هذا بالموافقة المسبقة المبنية على تقارير من ولاية مصر ، وهو ما يؤكد بأن ولاية مصر كان لهم دور كبير في تعيين وعزل أشراف مكة ، حيث كان على والى مصر إرسال الأمر صحبة أمير الحج المصرى فى كل عام إما باستمرار الشريف فى الحكم أو عزله وتعين آخر (٣)

هذه التبعية فرضت على مصر تخصيص حصة من ميزانيتها سميت بالأموال الأميرية ، منها مخصصات الحرمين الشريفين وهى واجبات مالية وعينية تكفلت مصر بأدائها إلى الحجاز كل عام ، وكذا صرة الحرمين الشريفين وتشمل النقود والقمح والزيت وخلافه والتي كانت تبعث من قبل والى مصر إلى الحجاز لتوزيع على مستحقيها ، أو ما أوجزها البعض بمخصصات الحرمين الشريفين ونفقات المحمل وأمير الحج (٤)

إضافة إلى هذه الروابط الحميمة بين مصر والحجاز وخاصة فى الجانبين الروحى والسياسى فقد كان هناك روابط أخرى شملت النواحي التجارية خاصة فى وجود البحر الأحمر والموانئ المطلة عليه من الجانبين متمثلة فى السويس والقصير فى الطرف الغربى منه ، وجدة وينبع فى الجانب الشرقى منه وتأثير ذلك مباشرة على الأوضاع التجارية التى تمر منه قادمة من الهند عبر المحيط الهندى والصراع الدائر حولها بين الجانبين الفرنسى والانجليزى .

فمن الثابت تاريخياً أن البحر الأحمر أضحت بحيرة إسلامية عثمانية منذ الوجود العثمانى فى المنطقة العربية سنة ١٥١٧ حتى أضحت كل من مصر والحجاز واليمن تطل على أجزاء طويلة من ساحليه الشرقى والغربى ، وقد عم الطابع الإسلامى العثمانى للبحر الأحمر حين فتح السلطان العثمانى سليمان بن سليم الأول كلا من سواكن ومصوع ، وهو ما أدى إلى عجز الوجود البرتغالى واعتدائه على البحر الأحمر خاصة وأن الدولة العثمانية قد حبت البحر الأحمر بالأمن والأمان عندما صبغته بالصبغة الإسلامية وأغلقتة فى وجه السفن البرتغالية ، ثم عممت هذا المبدأ على جميع السفن المسيحية حيث حرمت عليها الإبحار فى مياة البحر الأحمر شمالى ثغر مخا باليمن وجعله بحراً إسلامياً مغلقاً فى وجه الزحف الاستعمارى الأوروبى الذى حاول التسلل من باب المندب إلى الأقاليم الإسلامية التى تطل على هذا البحر من شاطئيه ، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى إلزام تلك السفن بإفراغ شحناتها فى هذا الميناء ثم يعاد شحنها على سفن إسلامية بحتة ببحارتها وقبطانها ، وهذه تتردد على ثغوره فى الشرق والغرب حتى السويس شمالاً ، وقد ظل تطبيق هذا المبدأ معمولاً به من قبل الدولة العثمانية حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، ودافعها إلى ذلك المحافظة على الأماكن المقدسة الواقعة فى الحجاز والمطلة على البحر الأحمر ولذا رأت أن الواجب يحتم قصره على السفن الإسلامية (٥).

وهناك دافع آخر للدولة العثمانية ترتب على إصدارها وتمسكها بالسيادة على معظم الأقاليم المطلة على سواحل البحر الأحمر وأن يكون تحت قبضتها وهو أن البحر الأحمر كان الطريق البحرى المؤدى إلى بلاد الحجاز حيث يأتى إليه المسلمون من الجانب الإفريقى وغيره لأداء مناسك الحج والعمرة (٦).

على أنه خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر اتخذت الدولة العثمانية اجراءات وقائية لعدم اجتياز السفن المسيحية البحر الأحمر وتهديد الحجاز ، حيث كانت فرقاطتهم الحربية تجوب البحر بين جدة والسويس بصفة دائمة ، وذلك بهدف تأمين وصول الغلال والمواد الغذائية اللازمة لأهالى الحرمين الشريفين ، وكذلك لحماية الأماكن المقدسة حتى أضحت مصر هى الحامية لطرق التجارة الحيوية بين كل من إفريقيا وآسيا انطلاقاً من السويس التى أضحت القاعدة الأساسية للعمليات البحرية العثمانية فى البحر الأحمر ونقطة الانطلاق الرئيسية لأداء فريضة الحج لمسلمى شمال إفريقيا (٧).

أما ثغر جدة فى الشرق من البحر الأحمر ببلاد الحجاز فقد تعدى وظيفته التجارية بين الحجاز ومصر إلى الهند ، فلم يكن ميناء جدة ميناءً خاصاً بمكة وشبه الجزيرة العربية فقط بل كان ميناءً لمصر والهند ، فكل تجارة الهند والجزيرة العربية والساحل الإفريقى كان من الضرورى أن تمر على تجار جدة قبل وصولها إلى مصر (٨).

ونظراً لأهمية ثغر جدة فقد جعل منه العثمانيون باشوية أو إيالة ، وألقوا به بعض الموانئ المطلة على ساحل البحر الأحمر كسواكن ومصوع الخاضعتين لهم وأطلقوا عليهم جميعاً ولاية الحبش ، هذه التسمية تعود إلى أن هذه الأقاليم المشرفة على الحبشة وهى تابعة للدولة العثمانية كانت على علاقة غير ودية ، فالدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية المتزعمة للقوة الإسلامية كان بينها وبين المسيحية عداً ، فضلاً عن وجود هذا العدا بين الحبشة والولايات العربية الإسلامية المحيطة بها فى إفريقيا (٩).

هذه العلاقة بين مصر والحجاز ومناطق البحر الأحمر عندما دخلت فى حوزة العثمانيين زادت عما كانت عليه فى العصر المملوكى ، حيث تواصلت إرساليات الأرزاق التى رصدها السلاطين العثمانيون للحرمين ، ومنها كانت تجهز التجريدات التى كانت الساطة تضطر لإرسالها للحجاز لضبط أحواله ، كما أن منها كانت مراقبة حركات الأوربيين فى البحر الأحمر (١٠).

موانئ البحر الأحمر والتجارة العالمية فى الفكر الفرنسى :

اللافت للنظر أن أهمية البحر الأحمر وموانئه الغربية والشرقية وبخاصة فى السويس وجدة لم تغيب عن فكر الرحالة والتجار والساسة الفرنسيون وخاصة قناصلهم الذين ترددوا على مصر وراحوا يرصدون كل ما من شأنه ضمان مرور تجارتهم أو الاستحواذ على الطريق العالمى إثر الصراع القائم بينهم وبين الانجليز خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر وتحديداً فى الفترة الزمنية التى قامت فيها الحرب بين فرنسا وانجلترا (١٧٧٨ - ١٧٨٣) ، فالجالية الفرنسية بمصر أرسلت اقتراحاً إلى الجمعية التأسيسية والغرفة التجارية بمرسيليا يقضى بفرض حصار بحرى على مصر وذلك من شأنه أن يهيأ لفرنسا فرصة الاستيلاء على الطريق إلى الهند ، وحددت الجالية فى اقتراحها الخطة الحربية اللازمة لتنفيذ هذا الحصار والتى شملت أربع فرقاطات اثنان منها لمحاصرة مينائى الإسكندرية ودمياط ، والأخريتان للتجول فى البحر الأحمر بين جدة والسويس (١١) وأشارت البرقيات المرسلة من قناصل فرنسا بالهند عن طريق قنصليتها بمصر إلى الغرفة التجارية بمرسيليا ان برزخ السويس يستخدم كطريق للتجارة بين مصر وبلاد العرب والهند وبلاد الشرق الأقصى حيث يتم الاستفادة منه فى نقل البين المستورد الذى يعتنى به الفرنسيون المقيمون بمصر أفضل عناية وذلك من موكا عن طريق السويس إلى

فرنسا ، تجارة البن تلك أضرت بشريف مكة وبلاد العرب وذلك عندما أصدر الملك الفرنسي قراراً يحرم التعامل فى تلك المادة ، فأرسل الشريف شكوى إلى وزارة الخارجية الفرنسية يحتج فيها على وقف تصديرها (١٢).

وكان البن العربى يمثل سلعة اقتصادية هامة لفرنسا ، حيث حققت تجارته أرباحاً خيالية إبان عهد لويس الرابع عشر بالنسبة للفرنسيين ، قدر القنصل الفرنسى ما استوردته فرنسا من البن عام ١٧٨٦ بـ ٢,٧٢٩,٠٠٠ جنيه ، وقدر البعض الآخر قيمة حمولة ثلاثون مركباً من جدة بالشاطيء الشرقى للبحر الأحمر إلى السويس بالشاطيء الغربى بـ ١٥ مليون فرنك ، وكانت أجود أنواعه بن مخا باليمن (١٣). فضلاً عن ذلك فقد كانت البضائع المحلية المصرية مثار إعجاب التجار الفرنسيين فراحوا يشترونها منهم ، ومن تلك البضائع والمنتجات الأرز والمر والبخور والعاج وريش النعام وغيرها (١٤).

وكان ميناء السويس هو الميناء الوحيد ذو الأهمية التجارية على البحر الأحمر حيث كان يعج بالحركة التجارية ، ولذا فقد أضحي مستودعاً لميناء جدة تقد إليه السفن من الجزيرة العربية حاملة إليه متاجر الهند حتى قدر ما تم إرساله من البضائع فى عام ١٧٨٢ من السويس إلى جدة ومكة ما يحمل على ظهر ثلاثة آلاف جمل شملت الأخشاب والحبال والأشربة والجوخ والقمح والحديد ، فضلاً عن قوافل الحج التى تخرج من السويس حاملة المؤن اللازمة كالمواد الغذائية مثل الأرز واللحم والماء وكذا مواد أخرى كالخشب تحت حماية البدو والجنود الانكشارية والعرب من أهل الحجاز (١٥).

ترافق مع برزخ السويس على البحر الأحمر وجود ميناء صغير الحجم فى جنوبه يحمل نفس الدرجة من الأهمية يدعى ميناء القصير ، هذا الميناء كان مستودعاً لتجارة مصر العليا مع شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن أنه كان نقطة انطلاق الحجاج للسفر إلى كل من مكة والمدينة المنورة ، كما كان نقطة تجمع قوافل البن ، فضلاً عن ورود جميع منتجات الهند إليه ومنها تنقل إلى القاهرة بواسطة القوافل (١٦).

كل ذلك أكد بأن الملاحة فى البحر الأحمر بالنسبة للفرنسيين وحتى البريطانيين لم تكن من الأمور السهلة ولا الأشياء المباحة ، خاصة وأن الرحالة الفرنسيين قدموا وصفاً دقيقاً لأهم مدن وموانئ البحر الأحمر وبشكل خاص السويس والقصير وأهميتهما ، فضلاً عن مطالبهم المستمرة بغزو مصر واستعمارها نظراً للمزايا والفوائد السياسية والاقتصادية الجمة التى ستجنيها فرنسا من سيطرتها على مصر والبحر الأحمر فجانب خصوبة أرضها وتحويلها إلى مستعمرة زراعية وسوق لتوزيع السلع فإنها تمثل مركزاً جيداً لتجميع تجارة الهند عبر البحر الأحمر والتى استأثرت بها بريطانيا ، فكما أنها المعبر الموصّل بين آسيا وإفريقيا فإنها همزة الوصل بين آسيا وأوروبا وفى الإمكان تحويلها إلى مركز للتجارة العالمية لو استولت عليها فرنسا ، ويلاحظ أن التركيز من قبل الرحالة وحتى القناصل قد أنصب حول مصالح فرنسا التجارية والفوائد التى ستجنيها من جراء غزو مصر والسيطرة على البحر الأحمر وبالتالي ضعفه الشرقى والغربية وتجارة الهند فضلاً عن منافسة بريطانيا (١٧).

هذا التهديد الفرنسى وحتى البريطانى للملاحة التجارية فى البحر الأحمر ، وما يستتبعه من وقف فريضة الحج لولايتين لهما درجة عالية من اهتمامات الدولة العثمانية ، وهما مصر وشبه الجزيرة العربية ، دفعت السلطان العثمانى تأميناً لهما أن يصدر عدة فرمانات سلطانية تمثلت فى فرمانين على

غاية من الأهمية ، الأول صدر فى سنة ١٧٧٤ نص على أن المسيحيين جنس مخادع يسعون منذ أقدم العصور مستعينين بشتى الحيل والطرق ووسائل العنف لتحقيق أطماعهم ، وذلك بالتسلل إلى البلاد متكرين فى هيئة التجار لاقتحام الهند بعدما نفذوا إلى دمشق والقدس ، ثم أخذوا يتوافدون إلى مصر بعد دراسة خريطتها والرحيل عنها ليعودوا إليها غزاة فاتحين ، ولهذا منع الفرمان السلطانى وصول المراكب والسفن البريطانية إلى البحر الأحمر ورسوها فى مدينة السويس ، بالرغم من مخالفة محمد بك أبو الذهب (والى مصر) لهذا الفرمان عندما عقد معاهدة تجارية مع بريطانيا نصت على حرية التجارة والملاحة بالنسبة للمتقاعدين (١٨).

أما الفرمان الثانى والذى صدر فى سنة ١٧٧٩ فقد تناول أهمية ميناء السويس كطريق للحج إلى بيت الله الحرام فى مكة ، وقيمة السويس والبحر الأحمر كباب لمكة المكرمة والمدينة المنورة ، هذه الأهمية فرضت على السلطان منع أية سفينة غربية من الوصول إلى البحر الأحمر وجدة سرا أو علانية ، ولكن المماليك المسئولين عن شئون مصر سمحوا لسفينة فرنسية صغيرة قادمة من الحبشة بالوصول إلى السويس ، واتخذتها السفن الإنجليزية ذريعة للوصول إلى السويس قادمة من الهند ، وكان من شأن ذلك تهديد الأماكن المقدسة ، ولذا منعت السفن الإنجليزية من الوصول إلى السويس أو حتى الاقتراب منها ، على أن الفرمان قد اتهم التجار الفرنسيين الذين يملكون البحر الأحمر بالجواسيس لأنهم سمحوا لأنفسهم برسم خرائط للمدن والموانئ وشواطئ البحر الأحمر تمهيدا للسيطرة عليه كما فعل الإنجليز من قبل فى الهند ، وهؤلاء شدد الفرمان بالضرب على أيديهم (١٩).

لكن نشاط التجار الفرنسيين قد كلل بالنجاح فى نهاية الأمر ، وذلك عندما عقد تروجه (Truguet) الفرنسى معاهدة تجارية مع مراد بك فى يناير (كانون الثانى) سنة ١٧٨٥ تألفت من سبع عشرة مادة أصبحت امتيازات عديدة وضمن سلامتها وحمايتها على السفن الفرنسية والتجار الفرنسيين الذين يأتون من الهند إلى السويس حاملين البضائع المتعددة الأنواع والأصناف ، وتمكن الفرنسيون بموجبها من النزول إلى السويس حيث أقرت المعاهدة بحقوق السفن الفرنسية والتجار الفرنسيين فى ارتياد كل الموانئ الخاضعة للسلطة المصرية نظير دفع الرسوم الجمركية سواء جاءت من الهند أو غيرها ، وقد قدرت بأربعة فى المائة من قيمة البضائع للبasha التركى واثنان فى المائة لمراد بك ، كما أعطتهم حقوق عينية كبيرة فى التواجد والسيطرة مما سيكون له أبلغ الأثر فيما بعد الغزو سنة ١٧٩٨ م (٢٠).

ورغم ما يعترى تلك المعاهدة من إخلال بفرمان السلطان وإن نصت على تصديق السلطان عليها بالرفض ، لكن السلطان قاومهم عندما أرسل أسطول إلى السويس فى ١٧٩٨ لطرده السفن الفرنسية ، وإنزال حراسة من الجنود لتنفيذ مشيئة السلطان والضرب على أيدي المماليك ، كما تصدت لهم شركة الهند التابعة لبريطانيا ، كما أوحى روسيا إلى مراد بك بأن ينقض تعهداته مع الجانب الفرنسى حتى أضحت المعاهدة ليست ذات قيمة تذكر (٢١).

دور بونابرت فى احتلال طريق التجارة العالمى والبحر الأحمر :

عقب وصول حكومة الإدارة فى فرنسا إلى سدة الحكم بدأ التفكير الجدى فى غزو مصر والاستحواذ على البحر الأحمر بضفتيه لامتلاك طريق التجارة العالمى من خلال موانئه السويس والقصير وجدة

وينبع وباقي الموانى المطلّة على البحر الأحمر ، فالهند بتجارتها وبضائعها الثمينة والتي كانت بريطانيا من خلال نشاطها الدؤوب في أواخر القرن الثامن عشر تستولى على نسبة تقدر بخمسة وثمانين في المائة من تجارتها الخارجية ، شكلت هذه الصادرات الهندية العماد الرئيسى للقوة الإنجليزية حتى أن المسؤولين الإنجليز قدروا أن بريطانيا لا تعد دولة عظمى إلا بفضل تجارتها مع الهند ، وهو نفس السبب الذى دعا حكومة الإدارة الفرنسية قبيل الغزو بعام ١٧٩٧ م إلى محاولة الاضطلاع بعمل مشترك مع الأمراء الهنود ضد السيطرة الإنجليزية انطلاقاً من الجزر الفرنسية فى المحيط الهادى (٢٢).

وبالرغم من أن أحوال فرنسا خلال السنوات السابقة لاحتلال مصر لم تكن مهيأة لهذا الغزو ، لكن الأوضاع العالمية إبان الفترة من ١٧٩٥ وحتى ١٧٩٨ فرضت عليها الاهتمام باحتلال مصر حيث عقدت فرنسا الصلح مع أسبانيا وهولندا وبروسيا ، كما سحب الأسطول الفرنسى من البحر المتوسط ، فضلاً عن مباحثات بونايرت مع النمسا لعقد الصلح ، ليتبقى من أعداء فرنسا كل من إنجلترا والبرتغال ، ولتتجه الصراع بين فرنسا وبريطانيا إلى الشرق ليعطى للمؤيدين الفرنسيين لفكرة الحملة الفرنسية على مصر الفرصة للتمهيد لها ، وبخاصة أصحاب النزعة الوطنية الفرنسية مع المنادين لفكرة الغزو التجارى والسيطرة على التجارة العالمية (٢٣).

والواقع أن المذكرات والرسائل التي تم تبادلها بين أعضاء حكومة الإدارة حول عمل يقضى على ذلك التفوق الإنجليزي فى التجارة الهندية وخاصة بين نابليون بونايرت وتاليران (وزير الخارجية) قضى - على حد تعبير بونايرت - بأن تدمير إنجلترا الفعلى لن يتم إلا من خلال الاستيلاء على مصر ، وهو ما أقره تاليران برغم اختلاف وجهات النظر حول دوافع الحملة على مصر وبخاصة الفوائد المترتبة على استحداث مستعمرات جديدة (٢٤) .

ويؤكد بونايرت فى رسالته المؤرخة إلى حكومة الإدارة فى أغسطس (آب) سنة ١٧٩٧ - والذى كان يتحرق حماسة لتنفيذ مشروع الغزو - بأنه ليس ببعيد أن يأتى اليوم الذى تقدر فيه فرنسا ضرورة الاستيلاء على مصر للقضاء على إنجلترا قضاء مبرماً ، خاصة وأن الدولة العثمانية وأراضيها الشاسعة كانت تعاني من سكرات الموت ، وهذا من شأنه أن يحمل على التفكير - مادام فى الوقت متسع - لاتخاذ التدابير المفروضة على فرنسا لصيانة تجارتها مع شرق البحر المتوسط (٢٥)

وكان بونايرت مدفوعاً فيما يسمى بالحملة الفرنسية على مصر وترديد ذلك لحكومة الإدارة بعدة أمور أهمها : اعتناقه لآراء وأفكار عدد من التجار والدبلوماسيين الفرنسيين فى الشرق وتحمسه لها مثل فرنينناك (الوزير المفوض الفرنسى فى الأستانة) ، والدوق دشواديل (المتحدث بلسان المصالح التجارية الفرنسية وراء البحار) ، وشارل ماجالون Charles - Magallon (قنصل فرنسا فى مصر) ، فضلاً عن ذلك فإن بونايرت كان سياسياً محنكاً بقدر ما كان عسكرياً فذاً ، فهو على علم كامل بأحوال وأمزجة حكومة الإدارة ورغبتها فى الحصول على المال قبل كل شئ ، ولن يكون هناك أفضل من مصر وأراضيها ومياها كمستعمرة تفيض بالغنائم على فرنسا ، ومن خلالها أيضاً يمكن عودة التجارة مع الهند إلى طريقها القديم وتحقيق سيادة فرنسا على الهند بسيادتها على مصر وكل الطرق البحرية المؤدية إليه (٢٦)

وقد تكون لهجة وأفكار بونايرت فى غزو مصر قريبة إلى حد كبير من آراء ومقترحات هؤلاء التجار والساسة عندما صرح بأن تحطيم انجلترا مرتبط بوضع يد فرنسا على مصر ، وهى نفس التصريحات التى أطلقها القنصل الفرنسى شارل ماجلون سنة ١٧٩٣ عندما عبر عن أهمية مصر والبحر الأحمر بموانيه الشهيرة كالسويس وجدة فى تصريح يونيو (حزيران) سنة ١٧٩٥ بأنه إذا تمت السيطرة الفرنسية على البحر الأحمر حينئذ يمكن تهديد المصالح البريطانية وطردهم من الهند ، فمن خلال طريق السويس يمكن إرسال عدد من القوات الفرنسية للهند مع عدد قليل من البواخر فى فترة لا تستغرق سنين يوماً بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح الذى يستغرق ستة أشهر ، وعن هذا الطريق سيتم الاستفادة من الخسارة التى تصل إلى عشرة فى المائة من طريق رأس الرجاء إلى واحد فى المائة عن طريق السويس (٢٧).

وتأكد ذلك الأمر بشكل جدى لا يدعو إلى مجال للشك من خلال التقرير الذى قدمه بونايرت إلى حكومة الإدارة فى الثالث الأخير من شهر فبراير (شباط) سنة ١٧٩٨ ، والذى يحلل ويقارن فيه بين مشروع الحملة الفرنسية على انجلترا كعدو لدود وبين الحملة على مصر والشرق ، حيث رأى أن الحملة على انجلترا لا تبدو فى نظره ممكنة نظراً للمصاعب التى ستواجهها فى القارة الأوروبية والتى سوف تعترض إمكانية تنفيذها ، وربما خسرت فرنسا اللحظة المناسبة للاستعداد لتلك الحملة وإلى الأبد وذلك نظراً لضعف إمكانات الأسطول الفرنسى والموانئ الأوروبية التابعة لفرنسا فى أوربا ضد الأسطول الإنجليزى ، وإزاء تخليه عن فكرة غزو انجلترا اقترح حلين لإنهاء الموقف ، الأول : يتمثل فى تكثيف الحصار الاقتصادى من قبل حكومة الإدارة ضد انجلترا والسعى لسد ثغرات الحصار القارى ضدها ، أما الثانى : وهو المعنى فىقوم على إنفاذ حملة فى شرق البحر المتوسط من شأنها تهديد تجارة الهند وهى المسماة بحملة الشرق على مصر (٢٨).

وقد وافقت حكومة الإدارة على تقرير بونايرت ، وأعلنت فى قرارها الأخير عن تخليها عن غزو انجلترا والتمسك بمشروع الحملة على مصر والذى من شأنه إجبار انجلترا على عقد الصلح وضمن هيمنة فرنسا على القارة الأوروبية ، فضلاً عن انتزاعها لمكاسب اقتصادية جمة نتيجة سيطرتها على طرق التجارة وأهمها البحر الأحمر ، فضلاً عن توطيد العلاقات مع تيبو صاحب (Tipoo saib) سلطان ميسور (٢٩) الذى كان من ألد أعداء الإنجليز فى الهند (٣٠)

وهكذا قامت الحملة الفرنسى للاستحواذ على مصر وهدفها الأساسى السيطرة على التجارة العالمية فى الهند ، والإستيلاء على المنافذ البحرية المؤدية إليه وخاصة فى البحر الأحمر التى تسيطر عليه الدولة العثمانية وعلى شاطئيه الشرقى فى شبه الجزيرة (جدة وينبع) والغربى (السويس والقصير فى مصر) ب-العلاقة غير الودية بين الحملة الفرنسية والحجاز :

صعيد مصر بين الفرنسيين والمماليك

عقب احتلال الفرنسيين للإسكندرية فى الثانى من يوليو (تموز) سنة ١٧٩٨ ، ثم القاهرة فى الحادى والعشرين من نفس الشهر ، وانسحاب باقى قوات مراد بك إلى صعيد مصر للتجهيز والاستعداد لجولة

حربية جديدة ، وكانت هذه إحدى أدوات المماليك فى الحرب (الكر والفر) والتى أظهرت فى حروبهم شجاعة نادرة أدهشت الفرنسيين (٣١) .

اتخذ نابليون (قائد الحملة) عدة اجراءات لاستكمال بسط سيطرته ونفوذه على باقى الأقاليم المصرية ، ثم اتخاذ التدابير اللازمة للوصول إلى إنفاذ مشروعه بالسيطرة على التجارة العالمية من خلال هيمنة النفوذ الفرنسى على البحر الأحمر ، فبالنسبة للأمر الأول فقد هدف منه ضمان الحصول على الأموال اللازمة لنفقات الحملة سواء من الأهالى أو من ممتلكات المماليك أو الحجاج ، ولإحكام سيطرته على مصر عين عدداً من الضباط والكفاءات من حملته على الأقاليم المصرية وأمرهم بفتح ووضع النظم الإدارية الكفيلة بخضوعها ، فالجنرال موراً (Murat) (٣٢) عينه حاكماً لإقليم القليوبية ، والقائد لانوس (Jeon lannes) (٣٣) قلده إقليم المنوفية من الجهة الغربية ، والجنرال دكا عين

على إقليم الدقهلية ، والجنرال بال (Viel) أرسله إلى مدينة دمياط ، والجنرال ديبوى عينه حاكماً للقاهرة ، وكليبر قلده الإسكندرية ، أما صعيد مصر فقد عهد بمهمة فتحه ومطاردة مراد بك إلى الجنرال ديزيه (Desiax) (٣٤) (٣٥)

وكان كل من بونايرت ومراد بك قد تسارعا فى نزاع حميم حول الصعيد كل منهما يحشد الأنصار والمؤيدين ، فبونايرت من جانبه لوقف قوة مراد بك الذى ارتحل إلى الصعيد قد كلف فى محاولة ودية من جانبه فى الأول من أغسطس (آب) كارلو روزينى (Rosetti) (القنصل النمساوى بالقاهرة) سلطة التفاوض مع مراد بك ، والذى عرض عليه حكم مديرية جرجا بالصعيد وما يليها حتى الشلال مقابل تبعيتها للحملة ودفع الضرائب المقررة ، وكان السر وراء اختيار روزينى لهذه المهمة يتمثل فى العلاقة الودية القائمة بينه وبين مراد بك ، لكن مراد بك رفضه عرضه وقدم لبونايرت عرضاً مضاداً يتمثل فى عودته إلى بلاده مقابل دفع أموال قدرت بعشرة آلاف كيس (٣٦) نظير نفقات جلانه عن مصر ، وهو ما جاء بالرفض من قبل بونايرت ودفعه لإرسال ديزيه إلى الصعيد لتعقب مراد بك (٣٧) .

هذا الاتصال ومحاولة التودد من قبل بونايرت إلى جانب مراد بك ينفى ادعائه السابق ومحاولات بعض المعاصرين (٣٨) للحدث التاريخى الادعاء بأن السبب الرئيسى للحملة هو التخلص من المماليك الذين احتالوا على أموال التجار الفرنسيين ، مما كان سبباً جوهرياً فى قدوم الفرنسيين إلى مصر فملوكها

وقد كان لبونايرت دوافع أخرى عديدة لاحتلال الصعيد منها وجود مراد بك الذى يمثل السلطة المصرية التى لم ينته بونايرت منها بعد والتى تشكل تهديداً مباشراً وخطيراً لسلطة الفرنسيين المركزية فى القاهرة ، فضلاً عن أنها تشكل عماد المقاومة الأهلية للمصريين وتستثيرهم ضد الحملة ، علاوة على تعطيل الملاحة فى النيل وحبس الغلال والمؤن عن الوجه البحرى مما يستهدف جنود الحملة لحظر المجاعة ، وهو ما ظهر واضحاً من حبس مراد بك للسفن المحملة بالغلال فى الوجه القبلى ومنعها الوصول إلى القاهرة (٣٩) .

ولهذا السبب أيضاً أرسل ماجلون إلى الصعيد حيث عين والياً على إقليم جرجا بعد احتلاله وذلك لتحصيل الأموال والغلال المتأخرة بالنواحي (٤٠) .

أما مراد بك فقد شرع فى تنظيم قواته وحشد المماليك والعربان والمصريين ضد الفرنسيين ووجد صفوفهم بعد انضمام أعدائه من المماليك إليه وتسوية خلافاتهم وبخاصة الأمير حسن بك الجداوى ، ثم أرسل خطابات لشتى زعماء القبائل فى شبه الجزيرة العربية يناشدهم فيها الانضمام إليه ضد ديزيه عبر البحر الأحمر (٤١).

وخلال هياج ثورة المدن المصرية فى الصعيد ضد ديزيه وقواته والتي وصلت إلى جرجا عبر سلسلة من المعارك - تخرج عن نطاق دراستنا فقد سبقنا إليها آخرون (٤٢) أخذ مراد بك يضم إليه الأعوان والمؤيدين من المصريين بالصعيد ، وأرسل للمرة الثانية يستنجد بعرب الجزيرة العربية وأشراف مكة وعرب ينبع وجدة فى رسائله - والتي لم تتمكن من الحصول عليها - كما أنفذ رسله إلى النوبة لاستنفار الناس لمقاومة الفرنسيين (٤٣) .

موقف الدولة العثمانية من احتلال فرنسا لمصر :

وإذا كانت الدعوات الحثيثة لمقاومة الفرنسيين قد انبعثت من جانب المماليك إلى أهالى الجزيرة العربية أو حتى دارفور ، لكن الدولة العثمانية وسلطانها كان له موقف أكثر صلابة وقوة نظراً لأن مصر هى إحدى أهم ولاياتها التى تربط بين آسيا وإفريقيا وفيه تهديد لولاية الحجاز أيضاً ، فالدولة العثمانية عن بكرة أبيها وبكافة ولاياتها قد انزعجت لهذا الاحتلال ، وباتت كل الولايات العثمانية فى حالة قلق وترقب للأحداث الجارية فى مصر ، فقد عقد السلطان العثمانى جلسة للتشاور إزاء الموضوع ضم عدد كبير من رجالات الدولة العثمانية كالصدر الأعظم وشيخ الإسلام وقادة الجيوش وسائر العلماء ورجال الدولة بهدف بذل الهمة وتطهير الأراضى المصرية من دنس الاحتلال الفرنسى ، فاتفق الرأى على أنه لما كانت مصر بلد مترامى الأطراف واسع الأرجاء ويصل البرين والبحرين ويلقب بأُم الدنيا ، ويعد مفتاح الحرمين ومصباح القبلتين ، لكل تلك الأهمية لمصر اتفقت الآراء على أن الجمهورية الفرنسية رغم تعاضم مفاسدها بمحاربتها للدول الأوربية ، وقهرها لكنها جاهرت بعدائها للدولة العلية وأعلنت الحرب عليها ، وهو الأمر الذى يدفع الدولة على قهر غرور الجمهورية الفرنسية وتعبئة جيوش جرارة العتاد لإرسالها براً وبحراً وبذل ما فى الطاقة لكسر غرورها (٤٤).

وأعلن السلطان العثمانى سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) فور انتهاء جلسة التشاور والجهاد الدينى ضد الفرنسيين ، هذا الجهاد الدينى الذى أضحى فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل قادر على حمل السلاح فور علمه بهذا الإعلان من قبل السلطان فى أى مكان من ولاياته من القارات الثلاث أوربا أو آسيا أو إفريقيا وهو ما سيكون له أبلغ الأثر على أهالى الحجاز أو الشام أو إفريقيا ، وهو ما يدل على قيمة وشيعة الدين والترابط بين أبناء الدين الإسلامى بغض النظر عن لونهم أو جنسهم (٤٥).

كما أرسل السلطان العثمانى فى أغسطس (آب) سنة ١٧٩٨ فرماناً إلى الحجاز يقضى بضرورة أخذ الحيطة والحذر وتسليح وتحصين البلاد ، والاستعداد للجهاد فى سبيل الله ، وقد تلى فرمان السلطانى بالحرم المكى (٤٦).

وفى الوقت نفسه بعث السلطان بعدة خطابات إلى الولايات المجاورة لمصر والمقابلة وذات الأهمية بالنسبة إليها كولاية الحجاز وشريفها غالب بن مساعد (١٧٨٨ - ١٨١٣) ، وكذا إمام

اليمن المنصور بن علي يأمرهما ويستحثهما على مواجهة بونابرت مع كل الأطراف التابعة للدولة العثمانية وعدم التعاون مع الفرنسيين بأى شكل والوقوف ضدهم ، والتعاون مع الباب العالي لمواجهة الاحتلال الفرنسي (٤٧).

وفى أول سبتمبر (أيلول) سنة ١٧٩٨ اذاع السلطان العثماني فى بيان له بأن مصر هى البوابة الرئيسية للمدينتين المقدستين مكة والمدينة ، ولذا اتخذت كافة التدابير لدفع الاعتداءات الفرنسية فى البحر والبر ، وتقرر قهر وسحق الأعداء تلبية لواجب البداء الدينى القاضى بخروج كل مسلم للحرب ضد فرنسا (٤٨).

وأعلن فى سبتمبر (أيلول) تحديداً الحرب رسمياً على فرنسا من قبل الدولة العثمانية ، وذلك عندما تسلم السفير الأسباني الخطاب القاضى بذلك (٤٩) .

وفى نفس الوقت صدر فرمان عثمانى لكافة أبناء المسلمين فى الدولة العثمانية للحث على جهاد الفرنسيين فى الثامن من أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٧٩٨ ، يشرح الأسباب والظروف والملابسات التى أدت بفرنسا لاحتلال مصر ، ودوافع الدولة العثمانية لإعلان الحرب والجهاد وعدم التقاعس والخذلان عن نصره الحق والدين فكان بمثابة حرب دبلوماسية على الفرنسيين فى مصر (٥٠).

والفرمان فى حد ذاته يعتبر رداً وحرباً على الفرنسيين حيث كانت البيانات والتقارير الفرنسية تكتب وتلصق وتعلق عادة فى الأسواق المصرية لجذب المصريين ، هذه البيانات والتقارير كانت تعلن عن سماحة بونابرت وعدله تجاههم ، وفى إحدى هذه البيانات أكد بأن مراده دفع الظلم عن كاهل المصريين وفتح الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس لتخفيف أجره الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم ، وحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطرق لتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن ومن كل فج عميق ، طالباً من المصريين الاهتمام فقط بأمر دينهم وأسباب دنياهم (٥١).

ونظراً لأهمية الفرمان ومن خلال نظرة ثاقبة عليه نجده يوضح كفر الجمهورية الفرنسية لتكفيرهم للأنبياء والكتب السماوية ، واتخاذهم منهجاً بعيداً عن قيم الديانات ، ومع ذلك فإنهم يعلنون لكل طائفة من الطوائف الإسلامية ومنهم طائفة المصريين والحجازيين والهنود والمغاربة وغيرهم ممن راسلوهم بأنهم على دينهم وملتهم ويواعدونهم بالمواثيق الباطلة وهى السياسية الإسلامية التى أعلنها بونابرت فى مصر ، وهدفهم الوحيد هو تخريب أصول ملتهم ونهب أموالهم وسبى نسائهم ، وقد نال الفرنسيون من الأهالى المراد وحكموا بهم بالجور والفساد حتى أن فسادهم وشرور قصدهم قد ألم بالأمة المحمدية والملة المحمدية ، هذه الرسائل التى بعث بها بونابرت إلى معظم الولايات الإسلامية التابعة للدولة العثمانية بعضها وصل بالفعل والبعض الآخر لم يصل نظراً لوقوعها فى أيدى جواسيس السلطان والتى تؤكد أن باعثها بونابرت،والتي يطالب فيها بالوقية والفساد والنفاق والحيل المختلفة بين العجم وبنى عثمان ليقع النزاع والجدال والشرور والقتال ليخرج الناس من طاعة السلطان والرعايا من أوامر الحكام فيخرب نظامهم وينقطع نظامهم فيتشتت شملهم وتفقد خزانتهم ، وتطرق البيان إلى عامل فى غاية الخطورة جاء فى رسائل بونابرت يتمثل فى السياسة الفرنسية حيال المصريين بخاصة والمسلمين بعمامة وهو الأخذ بيد

الضعيف منهم على القوى حتى إذا اضمحل القوى منهم هان على جنود فرنسا فأبادوهم جميعاً ليكون الهدف التالي والمحك الرئيسى بين الفرنسيين والإسلام ، لأنه لا يجوز لهم الارتكان والاعتماد على هؤلاء التابعين للسلطان العثماني إلا بعد رفع الدين ، وبعد الظفر بهم بسبب الحيل المتقدمة واحتلال الحجاز والأراضى المقدسة يجرى تنفيذ غرض الحملة وهو هدم الكعبة وبيت المقدس وجميع المساجد لتمحى قواعد الإسلام وأثارها على وجه الأرض قاطبة فى العرب والعجم غرباً وشرقاً (٥٢).

ويستحث فرمان كافة المسلمين استنهاض العزائم بعد معرفة أهداف وأغراض الفرنسيين فى كافة الولايات الإسلامية وبخاصة القريبة لمصر – وذات التأثير على الطريق التجارى العالمى – كأهالى الحجاز وشبه الجزيرة عموماً والشام قائلاً : " فكيف لا يكون فرضاً على كل واحد من المسلمين إبداء المروءة ، فيا غزاة الموحدين ويا أبطال الحرب والضرب ورجال الغزو والنهب ، ويا أركان الشريعة المحمدية وقواعد الملة الحنفية ، بل يا كل المسلمين المؤمنين بالله ورسوله أقرنوا القوة مع الهمة المحمدية لحرب هذه الملة الفرنساوية ، لأن فى زعمهم أن زمرة الموحدين كالكفرة الذين حاربوهم وحولوهم إلى اعتقادهم ، ولم يعلم الملاعين أن دين الإسلام مغروس فى قلوبنا والإيمان ممزوج بدماننا أكفران بعد إيمان وخلاف بعد هذيان كلا ورب الأرض والسماء " ، معقباً بدلائل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تحض على الجهاد كالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وخلافه الكثير ، على أن فرمان استنفاراً للهمم واستحضاراً للعزائم خاطبهم خطاباً قوياً بأن تكون سيوفهم بارقة وسهامهم راشقة ونبالهم فى أبدان الفرنسيين متسابقة فى حومة الميدان تجول لأن عين الله معهم ، وللمعاوضة فقد أقر فرمان بأن الأوامر العلية أشهرت فى كافة العساكر والأجناد العثمانية بأن تجتمع متكاثرة وبسفن كالجبال ومدافع كالرعد والقاصف والبرق الخاطف ورجال شجعان لا يهابون الموت حباً فى دين الله (٥٣).

وقد قام ولاية الشام كأحمد باشا الجزائر (والى عكا) وغيره بإرسال هذا فرمان إلى مصر مشفوعاً بالحض على الجهاد ، والذى تم ضبطه مع الكتابات الأخرى التى تحت عليه فى مصر ، والتى قوبلت باهتمام بالغ من جانب بونابرت عندما سعى لحض علماء الأزهر للكتابة ضدها ، أو المنشورات التى كان يصدرها بين الحين والحين تهدئة للخواطر من جانب وعدم استئثار الأهالى من جانب ثان ، وإبراء لما ورد بحقهم فى منشورات السلطان من جانب ثالث ، والتى ورد بعضها فى شكل رسائل أرسلت إلى أهم شخصيتين فى العالم الإسلامى السلطان العثمانى بصفته ، والشرىف غالب بن ساعد (شريف مكة) من جانب رابع (٥٤).

ولما كان تعين عساكر من الأناضول أو الروملى لإرساله إلى مصر سيستغرق أياماً طويلة نظراً لبعده المسافة فقد اتجه الرأى فى ديوان عسكر الدولة العلية واستصوبوا توجيه ولاية مصر إلى أحد وزراء الجزيرة العربية وتنصيب قائد عسكرى لمصر ، فضلاً عن تسير قوات من دمشق وحلب وسائر الولايات العربية مع ذلك القائد ، ذلك لكى لا تمتد يد المحتل الفرنسى بالعدوان على بلاد الشام المتاخمة لمصر حتى وصول قائد العسكر المذكور (٥٥).

تأثير فرمانات العثمانية فى أهالى الحجاز (وجهة نظر فرنسية)

هذا الوصف للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله والذي أورده الفرمان العثماني جاء أكثر منه قوة في وصف الفرنسيين - وبعض الباحثين الغربيين - لأهالي الحجاز المجاهدين الذين لبوا نداء الجهاد ، حيث وصفهم بأنهم سلالة النبي ﷺ ، لباسهم العمام الخضراء ويتسلحون بالبنادق والسيوف والرماح والخناجر ، ويتسمون بصلابة في خلقهم تعبر عن أخلاقهم ، هؤلاء المجاهدين كانوا من العرب الحجازيين الخالص رغم انضمام عدد كبير إليهم من الحجاج المغاربة ، وهؤلاء المجاهدون الحجازيون كانوا أشد قوة وتعصباً وبأساً في حرب الفرنسيين عن غيرهم ، وهؤلاء أيضاً لم يتأثروا بقيادتهم السياسية ولم يكن لقيادتهم تأثير عليهم بأية طريقة ، فانضمامهم إلى قوات مراد بك جاء بناء على رغبتهم البحتة حيث لم يشجعهم الشريف غالب بن مساعد على ذلك ولم يثبتهم أيضاً على الانضمام إليه ، في الوقت الذي راسل فيه بونابرت برسائل ودية نظير اعتماد موارده على ما تصدره الأراضي الحجازية من البن إلى مصر - ودوافع أخرى سيأتى ذكرها لاحقاً - ومعرفته لأخبارهم وهزيمتهم وانكسارهم في الحرب من خلال بونابرت (٥٦).

هذه البسالة والشراسة في القتال من جانب العرب الحجازيين ضد الفرنسيين في صعيد مصر سوف تؤتى ثمارها من خلال حق بالغ تجاههم في وجهة نظر خاصة من قبل بونابرت وقيادات الحملة ، فقد ورد عنهم بأنهم مكيين أو من أشرف ينبع يتصفون بالجلود البرونزية التي يلبسونها وبأجسامهم النحيلة التي أعطتهم ضراوة في القتال لا يعادلها سوى انحطاط مستوى معيشتهم نتيجة لتعرضهم الدائم للشمس المحرقة والرمال الساخنة ، فضلاً عن حرمانهم من الماء الذي أعدمهم الرحمة في قلوبهم ، فهؤلاء على حد نعت بونابرت لهم - ووصفهم بأقبح الصفات التي لا يجوز صدورها من قائد أعظم قوة حربية في العالم بأى حال من الأحوال - صورة مجسمة للرجل المتوحش في أبشع صورة يتصورها العقل (٥٧). هذا النعت البشع والقبح والذم بأقبح صفاته من قبل قيادة الحملة الفرنسية يقلب الحدث التاريخي ، ويوضح في أبلغ صورة مدى استمالة العربي المسلم سواء من الحجاز أو غيره في الدفاع عن أراضي المسلمين وعقيدتهم وحياتهم تحت لحة واحدة ضد الغاصب المتمرس على أشد أنواع القتال ضراوة ، فضلاً عن النهب والسلب والحرق والإرهاب بشتى صورته ، وذلك ما أظهرت آثاره في معظم المعارك التي دارت رحاها بين ديزيه (القائد الفرنسي المكلف بحملة الصعيد) والمماليك في صعيد مصر حينما كان يأمر بليار (أحد القادة الفرنسيين) بحرق قرى بأكملها بمن فيها من المصريين وعرب الحجاز دون شفقة أو رحمة بالإنسان المغتصب أيا كان دينه أو لونه سوى تأكيد ما لتلك الحضارة الحديثة على الشرق من فضل الاستيلاء والسيطرة ، فإن دافع عن نفسه ودينه وعرضه وأرضه فهو المتوحش الخارج عن الإنسانية وحضارتها ، وهو ما أعرب عنه الضابط فيفيان دينون (أحد قواد الحملة على صعيد مصر) إبان حملتهم على قنا وقرية أبنود بصفة خاصة يصف فيه حرقهم لمنزل اعتصم به المجاهدون الحجازيون بأنهم راحوا يخضون النيران كأنهم الشياطين خرجت من الجحيم ، وشعر وهو يشاهدهم بمزيج من الرعب لرؤيتهم والإعجاب لشهائمهم ، حيث تخلل المشهد فترات من الصمت سمع فيها دوى صوت واحد يصلى ويردد خلفه المصلون الأناشيد الدينية وصيحات الحرب ، ثم يدفعون بأنفسهم على الفرنسيين رغم يقينهم التام من ملاقة حتفهم دون شك ، وهو ما حدث بالفعل حيث أن صلابته هؤلاء

الحجازيين فى القتال داخل المنزل وخارجه مع قلة أو عدم وجود أسلحة حديثة كالتى يمتلكها الفرنسيون أدت إلى الفتك بهم فتناثرت جثثهم فى جنباته ، أما المتخلفين منهم والذين أعجزهم الجراح عن الفرار من المنزل فإنهم قد لقوا نفس المصير بالرغم من المحاولات المستميتة للدفاع عن أنفسهم ، وعقب الفراغ منهم راح الفرنسيون يتلمسون العزاء عند نساء القرية (٥٨).

وفى وصف آخر لحملة مصر العليا نجد توضيح صريح لجرائم المحتل الفرنسى سوف نسوق منها نموذجا لما ورد على لسان دينون حيث يذكر ارتكابهم لأفعال قبيحة أكثر من المماليك بالرغم من تفاخرهم بأنهم أكثر عدلاً من المماليك فقد ارتكبوا بشكل يومي وشبه اضطرارى عدداً من المظالم ، وكانت صعوبة التمييز بين أعدائهم من حيث الشكل واللون قد قادهم إلى قتل فلاحين أبرياء كل يوم ، فالجنود الفرنسيون المكلفون بالقيام بعمليات تفتيشية كان لا يفوتهم معاقبة التجار المكيين الذين يصلون فى قافلة تجارية وقبل محاكمتهم - إن كان هناك وقتاً لمحاكمتهم أصلاً - يتم إعدام اثنين أو ثلاثة منهم رمياً بالرصاص ، ثم جرى نهب وتبديد جزء من شحنتهم ، أما السكان المصريين الذين حضروا خصيصاً لسعادتهم ورفاهيتهم فلا شك لم يكونوا أسعد حالاً ، فإذا كان الرعب يدفعهم لدى اقتراب الفرنسيين إلى ترك بيوتهم فإنهم عندما يعودون إليها بعد رحيلهم لا يجدون فيها غير القوالب الطينية التى تتألف منها الجدران (٥٩)

عرب الحجاز بين بونابرت ومراد بك :

تمثل الفرمانات والبيانات الصادرة من قبل السلطان العثمانى للدعوة إلى الجهاد ضد الفرنسيين ، فضلاً عن استتجاد مراد بك بعرب الحجاز للمشاركة فى المعارك خاصة وأن مراد بك وديزيه كان يعول كل منهما على معركة فاصلة فى جرجا قمة الجهاد والعداء الصريح والواضح للجانب الفرنسى ، فقد لبى عرب الحجاز نداء الجهاد والانضمام إلى صفوف قوات مراد بك ، تلك الروح السائدة فى العلاقات من جانب أهالى الحجاز إلى إخوانهم فى مصر والأراضى المصرية لاستنفار الهمم المتمثلة فى الروح الإسلامية السائدة بين كافة الولايات العثمانية الإسلامية لم تكن فى حاجة إلى إصدار بيانات أو قرارات أو حتى تكاليف لا من قبل السلطان العثمانى أو حتى (شريف مكة) غالب بن مساعد ضد المحتل الفرنسى لمصر ، ولن تكون كذلك فى حاجة ماسة لتدخل المؤرخين أو تحليل لإثبات علاقات سياسية أو اقتصادية بين الجانبين لتبرير الحدث والواقع التاريخى للعلاقة العدائية من جانب المجاهدين الحجازيين إلى بونابرت وحملته العسكرية ، وهو ما أورده المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى (٦٠) بأن أخبار الفرنسيين وامتلاكهم للديار المصرية حينما وردت إلى الحجاز انزعج أهلها واجتمعوا بالحرم معلنين عن رغبتهم فى الجهاد ضد الكفار وذلك ببذل المال والنفس لطردهم من بلاد المسلمين وانتصاراً للدين .

وهو ما عبر عنه البعض (٦١) بأن وشيجة الدين فى تلك الفترة التاريخية كانت تقوم مقام القومية فى تقرير الأوضاع السياسية والحربية والروابط الاجتماعية التى تتقبلها الجماهير الإسلامية فى كافة أنحاء الدولة العثمانية عن طيب خاطر ، ولذا أخلصوا لها واشتركوا فى حروبها ضد أى تكتل صليبي يواجهها ، وكان خير مثال لهذا الترابط الدينى بين سكان الولايات العربية إبان الحكم العثمانى هو احتلال الفرنسيين لمصر وإعلان الجهاد الدينى ضد هذا الغزو المسيحى .

وكان يقود تلك الدعوة للجهاد فى الحجاز الشيخ محمد الكيلانى (المغربى) الذى قيل عنه أنه من الأشراف ، والذى كان ملازماً لمكة والمدينة المنورة والطائف لوعظ الناس ودعوتهم إلى الجهاد وتحريضهم على نصره الحق والدين ، وفى هذا الصدد قرأ الشيخ الكيلانى كتاباً مؤلفاً فى هذا المعنى(٦٢).

وهو نفس المعنى الذى أورده نقولاً الترك(المؤرخ المعاصر للأحداث) (٦٣) بأنه حينما بلغ أهالى الحجاز دخول فرنسا إلى الديار المصرية فارتجت سكان الأرض وماجت واضطربت وهاجت فتحرك من الأشراف السيد محمد الكيلانى .

وقد كان للكيلانى هذا فى كتبه وخطبه ومواعظه أعظم الأثر فى أهالى الحجاز فتأثر به جملة من الناس فبذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله عندما اجتمع حوله فى بداية الأمر ما يقدر بستمائة من المجاهدين عبروا الضفة الشرقية للبحر الأحمر مباشرة إلى القصير فى مصر مع ما انضم إليهم من أهل ينبع فى المدينة المنورة وباقي أنحاء الجزيرة (٦٤).

وقد أكد كل من المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي وعزت الدارندلي (٦٥) ولطف الله حجاج بأن الكيلانى الذى جمع حوله خلق كثير من أهالى الحجاز كان رجلاً مجاوراً مغربياً وليس من أهل الحجاز الخالص . لكن أحد المؤرخين (٦٦) الذين تعرضوا لتلك الجزئية أكد بأن محمد الكيلانى الهاشمى المذكور هو من أصول وجذور مرتبطة بالجزيرة العربية ، وأنه من غير الجائر أن يجتمع حوله هذا العدد الكبير من المجاهدين الحجازيين الذين ينتمون إلى سلالة النبی ﷺ ويتولى قيادتهم وهو لا ينتمى إليهم وإلى الحجاز . على أن دعوات وعظات الكيلانى أدت إلى اجتماع خلق كثير من أهالى الحجاز حوله عندما سمعوا عنه ، فتوافد إليه الأهالى من كل حذب وصوب من عرب الجزيرة ، فالنساء كانت تأتيان للاستماع إلى أحاديثه ومواعظه التى تحض على الجهاد فيقمن بالتبرع بما يلبس من نفائس كالخواتم والعقود والملبوسات حتى صارت الهبات المقدمة إليه كثيرة ، كما ورد عليه المتطوعين من سائر أنحاء الحجاز وهؤلاء سيديرون معه إلى مصر لمناجزة الفرنسيين(٦٧).

ولم تقف تبرعات الحجازيين عند ذلك الحد فجانبا المتطوعين تقدم عدد كبير من كبار التجار الحجازيين بكافة المساعدات التى يحتاج إليها هؤلاء المتطوعة سواء للسفر أو مصر أو حتى المؤن والأسلحة التى سيستخدمونها فى المعارك كالبنادق الصغيرة والحراب والسيوف ، أما المؤن فشملت الأرز والحبوب والمهمات ، وهؤلاء التجار ، أوردتهم مؤلف واحد هو لطف الله حجاج (المؤرخ اليمنى) (٦٨) حيث ذكر أن أغلب المساعدات التى قدمت إليه كانت من محمد بإصلاح الحضرمى والشيخ عبد الرحمن العسيرى والشيخ أحمد الفاسى والشريف غالب بن مساعد ومحمد أبو العسل ، فالأول منهم تصدق بخمسائة بندقية صغيرة ومائتى حربة من حراب الشام ، ومائتى سيف وأربعمئة كيس مليئة بالأرز ، فضلاً عن ألفى نعل لينتعلها فقراء المسلمين ، أما الثانى العسيرى فقد جهز ثلاث سفن تجارية صغيرة ليعبر بها المجاهدون إلى ميناء القصير بمصر ، وزودهما بكافة المهمات والميرى التى يحتاجون إليها ، أما الثالث الفاسى فقد جهز سفينتين وهبهما فى سبيل الله ، أما الرابع الشريف غالب فقد وهب خمس سفن مشحونة بما يحتاج إليه المجاهدون فى سبيل الله ، أما الأخير أبو العسل فقد تبرع بثلاث سفن ،

كما جهز ثلاث أخرى من السفن الصغيرة التى تنقل البضائع بين الموانئ القريبة من أهل ينبع وقدمها إلى محمد الكيلانى ، كما تقدم غيرهم متطوعين بتقديم ما يلزم من إعدادات تالية لحملة الحجازيين ومعظمهم من تجار الحجاز (٦٩).

هذه التبرعات من التجار وخاصة السفن تدل دلالة واضحة على أنهم كانوا من التجار الرئيسيين الذين يعملون فى التجارة بين مصر والحجاز وغيرها من موانئ البحر الأحمر ، وتقديم بعضها كهبات يأتى فى المقام الأول كتعبير عما يجيش فى أنفسهم تجاه إخوانهم فى مصر ، وهى صورة من صور الأخوة الإسلامية تحت ظل الخلافة العثمانية الإسلامية ، أما الصورة الثانية فتتمثل فى خسائرهم المالية الكبيرة كنتيجة مباشرة لاحتلال الفرنسيين مصر ، بجانب ذلك فقد تواجد فى صفوف المجاهدين الحجازيين طوائف أخرى من غير الحجاز أصلاً وإن كان بعضهم قد ولدوا فى الحجاز كالهنود والمغاربة ممثلة فى محمد بن محمد حياة السندى (٧٠) وهو من بلاد السند أصلاً ، وكان أحد الأمراء المجاهدين من الحجاز فى جهاد الفرنسيين ، فوضه فى إمارته تلك محمد الكيلانى (٧١).

هذا فضلاً عن الحجاج المغاربة الذين اشتركوا فى الجهاد بعضهم كان يقيم فى أراضى الحجاز إقامة فعلية وصنفوا بأنهم حجازيين من عرب الحجاز وليسوا من الأشراف ، هؤلاء جميعاً سار بهم الكيلانى حتى وصل إلى جدة ، وخلال سيره كان يجمع الأنصار والمجاهدين والذين بلغوا الأربعة آلاف مقاتل ، والذين حملوا على تلك السفن من ميناء جدة ، ثم استكمل جهاده بالذهاب إلى المدينة المنورة لجمع المتطوعة والهبات التى تلزمهم حيث مر على رابغ والخليص بين مكة والمدينة فأجابه الأهالى وقدموا إليه الأموال الكثيرة ، ثم سار إلى بدر بالمدينة المنورة فقدم إليه الأهالى التبرعات القيمة وانضم إليه جماعة منهم كمتطوعة ، ثم نزل بمنطقة الصفراء التى تقع بين المدينة المنورة وميناء ينبع فوعظ بها وحض على الجهاد فجاءته أموال كثيرة كان يجمعها وكلاء عنه ، وبالرغم من محاولات البعض التشكيك فيها بأنها من أموال زيدية (٧٢) لكنه أشار إلى أن الله زادهم فضلاً بانفاق أموالهم فى سبيل الله ، واستكمل مسيرته إلى المدينة المنورة نفسها فجمع من أهلها أموالاً كثيرة ، كما تطوع من أهلها ثلاثمائة مجاهد ، فسار بالجميع ونزل بهم إلى ميناء ينبع تمهيداً لعبور الشاطئ الشرقى من البحر الأحمر والوصول إلى القصير فى الضفة الغربية منه (٧٣).

وهكذا نرى أن الدعوة إلى الجهاد ضد الفرنسيين حمل عبئها فى أراضى الحجاز الشيخ محمد الكيلانى الذى ينتمى إلى أسرة الكيلانى التى ترجع أصولها إلى أكبر العائلات التجارية المغربية ثراء ، والتى استوطنت الأراضى الحجازية وبصفة خاصة جدة فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى حيث امتهنت التجارة بين مصر وأراضى الحجاز (٧٤).

وهكذا أيضاً اتخذ هؤلاء المتطوعة الحجازيين طريقين للوصول إلى صعيد مصر ، الطريق الأول : كما ذكرنا يتمثل فى السفن والعدد الكبير من المجاهدين الذين وصلوا إلى ميناء جدة ، وهؤلاء اتجهوا مباشرة إلى القصير بأوامر من محمد الكيلانى ، أما الطريق الثانى : فيشمل العدد الأكبر الذى اجتمع حوله من المدينة المنورة وما حولها وما جاورها وهؤلاء جميعاً انطلقوا من ميناء ينبع التابع للمدينة المنورة إلى القصير مباشرة .

أما أهالي مكة ذاتها فقد تقبلوا الدعوة إلى فريضة الجهاد في بداية الأمر وكانوا أسرع من سابقهم ، وهؤلاء قد لازموا حسن الكيلاني ابن اخت محمد الكيلاني ، وطاهر أخو محمد الكيلاني نفسه ، مما يتبين لنا أن الدعوة إلى الجهاد والفريضة قد قامت بها أسرة الكيلاني بالحجاز ، بالرغم من أنها مغربية الأصل لكنها تنتمي أمام هذا الحشد الهائل من العرب الحجازيين وغيرهم من المسلمين من شتى أنحاء الدولة العثمانية ، وهؤلاء أيضاً ذهبوا إلى القصير في صعيد مصر في أوائل يناير (كانون ثان) سنة ١٧٩٩ للانضمام إلى قوات مراد بك والاستعداد لهجوم شامل في منطقة سمهود (٧٥).

الاختلاف حول إعداد مجاهدي عرب الحجاز وتأثيره على الفرنسيين :

لقد أحدث وجود العرب الحجازيين في صفوف قوات مراد بك التباساً لدى المؤرخين الذين تعرضوا لمعارك الصعيد التي اشتركت فيها تلك القوات بالفعل وخاصة إعدادهم ، وذلك نظراً لما أبدته من صلابه وقوة تمكنت بفضلها قوات مراد بك من وقف الزحف الفرنسي من جانب وعطلت جهودهم في احتلال الصعيد من جانب آخر ، كما صعبت مهمتهم وأحدثت انزعاجاً واضطراباً في صفوف القوات الفرنسية مما استدعى ذلك بونابرت أن ينشر في تقاريره وبياناته التقليل من حجمهم وقوتهم حتى لا يؤثر ذلك على الأهالي في صعيد مصر ، كالنص الذي أورده الجبرتي(٧٦) وطبع منه عدة نسخ والصق بالأسواق كالعادة والذي يشير إلى كثرة لفظ الأهالي المصريين عقب انقطاع الأخبار عن الفرنسيين المحاصرين لعكا والروايات التي حكيت حول الانتصارات في الصعيد بسبب وجود الكيلاني والأشراف من عرب الحجاز معه ، يذكر النص : " بأن حضرة ساري عسكر (دوجا) الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون الكلام لا أصل له من قبل الأشراف ، والحال أن الأشراف الذين تذكرونهم وتكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة ساري عسكر الصعيد (ديزيه) يخبر الوكيل دوجاً بأن الأشراف المذكورين الذين في صحبة الكيلاني تمزقوا كل ممزق ، وانهزموا وتقهقروا ، ولم يكن الآن في بلاد الصعيد شيء يخالف المراد سلم من الفتن والعناد ، فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التي توقعكم في الهلاك والتلاف ، وأمسكوا دينكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار " .

وهو نفس السبب الذي من أجله ما فتأ ديزيه (قائد قوة الحملة الفرنسية على الصعيد) يلح ويطالب بالمدد والمدفعية والذخائر والمهمات من نابليون ، لأنها في وجهة نظره كانت الوسيلة الوحيدة للتغلب على قوات المقاومة في الوجه القبلي ، وبغيرها لن يتمكن من إلحاق بقوات مراد بك والعرب الحجازيين في الصحراء والتي ستصبح حرة طليقة تتحين الفرصة لإرهابهم وتكبيدهم الخسائر الجمة ، حتى أنه ذهب في ذلك الصدد إلى القاهرة لنفس السبب(٧٧)

وبرغم أن نابليون كان يولى حملة الصعيد أهمية بالغة ، لكنه نتيجة لشح الغلال في القاهرة والوجه البحري فضلاً عن انهماكه في إعداد الحملة على سوريا تلكأ في إعداد الحملة مما اضطر ديزيه لاستعجال الإمدادات والنجدة ، فأمدّه نابليون بقوة تقدر بـ ١٢٠٠ من الفرسان بقيادة دانو (Danout) وعدد لا بأس به من المشاة مزودين بالمدافع والذخائر ، فضلاً عن سفن حربية على رأسها سفينة نابليون الخاصة وتدعى إيتاليا ، فوصل بذلك عدد الحملة الفرنسية على الصعيد إلى أربعة آلاف مقاتل مزودين

بكافة الأسلحة الحديثة ويقودها خيرة ضباط الحملة كديزيه وبليار ودافو ولاتورنرى ودنزلو وراباس(٧٨).

كما يعترف أحد القواد الفرنسيين بمدى صلابة هؤلاء المجاهدين أمام هذه القوة المجهزة بأحدث الأسلحة حينما نزلوا إلى ميناء القصير وتصادف وجود أول أسطول عربى صغير من الحجاز ، فضلاً عن أسطول آخر أرسل من قبل بونابرت من السويس لمنع وصول تلك الإمدادات إلى مراد بك واحتلال ميناء القصير ، فوصل الأسطولان فى وقت واحد ودار الاشتباك بينهما فكانت الهزيمة فى جانب الفرنسيين ، حيث فر الأسطول الفرنسى هارباً إلى السويس مرة أخرى ، وأرسل قائده تقريراً إلى بونابرت يرجو فيه عدم إرساله فى المستقبل فى أية مهام صعبة ومستحيلة التنفيذ كهذه المهمة(٧٩).

هذه البسالة من جانب العرب الحجازيين فى صفوف قوات مراد بك فضلاً عن خسارة عدد لا بأس به فى صفوف الفرنسيين سواء فى الصعيد أو فى حملة بونابرت على الشام هدت تفكير كل من بونابرت وديزيه فى الإقدام على اتخاذ إجراء يعوض به النقص الواضح فى صفوف القوات الفرنسية ضد المجاهدين من العرب الحجازيين ، هذا المشروع قضى بتأليف جيش مختلط شمل الفرنسيين والزنج والعرب وحتى بعض صغار المماليك على قدم المساواة للقتال فى صفوف القوات الفرنسية ، هو نفس السبب الذى لأجله كلف بونابرت ديزيه بأن يشتري ما يقرب من ألفين إلى ثلاثة آلاف زنجى من تجار العبيد الأفارقة وبخاصة من سنار والحبشة ودارفور ، ثم راسل سلطان دارفور يطلب منه نفس العدد بنفس المعنى السابق(٨٠).

أما قوة العرب الحجازيين التى جرى حولها تناقضاً واضحاً بين المؤرخين فيتمثل فيما ورد عن مؤرخى الحملة بأن عدد العرب الحجازيين فى موقعة سمهود يقدر بألفين من المكيين يقودهم الشريف حسن حاكم ينبع دون بقية المجاهدين الذين وردوا مع محمد الكيلانى ، وهؤلاء هم الذين وصلوا بالفعل عبر القصير على البحر الأحمر(٨١).

فى الوقت الذى أكد فيه أحد الضباط الفرنسيين(٨٢)المشاركين فى الحملة على الصعيد بأنه وصلت إمدادات تالية إلى المماليك قدرت بألف وخمسمائة عبر ميناء القصير ، وتجمع هؤلاء المجاهدون المقدرين بثلاثة آلاف ونصف فى منطقة ديروط ثم انفصلوا .

كما ورد رقم آخر فى إحدى المصادر الفرنسية(٨٣)أكثر من هذا بكثير يؤكد بأن صدئ نداء الجهاد فى أهالى الحجاز أدى إلى تدفق المتطوعين على موانئ البحر الأحمر والمقدر بأكثر من خمسة آلاف متطوع ، وهو رقم ضخيم بالقياس إلى مجموع سكان هذا الإقليم أو يكاد يوازي أو يزيد قليلاً عن عدد قوات الحملة الفرنسية على الصعيد .

أما المصادر العربية المعاصرة للأحداث (٨٤)فقد قدرت إحصاءها عددهم بسبعة آلاف متطوع على رأسهم محمد الكيلانى ، وذلك العدد وعلى رأسه الكيلانى كان يأتى ذكره لأول مرة ، خاصة وأن معظم من تطرق لهذا الموضوع كان يذكر حسن الكيلانى ابن أخت محمد الكيلانى فقط .

أما الجبرتى (٨٥)فيورد أرقاماً مخالفة لذلك ، فيذكر أنه اجتمع نحو الستمائة مجاهد مع الكيلانى من المكيين وركبوا البحر الأحمر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أعداد من أهل ينبع وخلافه وهو ما لم

يذكره غيره ، فضلاً عن اختلاف الرواية نفسها عند الجبرتي في العدد وصحتها مع مؤرخ آخر معاصر للأحداث كلطف الله حجاف (٨٦) الذي أكد ورود المكيين عن طريق القصير مع حسن الكيلاني ، أما باقى أهالى المدينة وما يتبعها من بلاد حتى ميناء ينبع فكانوا فى صحبة محمد الكيلاني وغيره ، وبوجه التفضيل ذكره لطف الله بأن محمد الكيلاني أرسل صحبة السفن المتبرع بها كل من الحضرمي والعسيري والفاسى وأبو العسل والشريف غالب - السابق الإشارة إليهم - لحمل المتطوعين ما قدر بأربعة آلاف مقاتل عبروا جميعاً من ميناء جدة وحدها إلى القصير ، ثم توجه بنفسه إلى المدينة المنورة ، وخلال تجوله فى الأودية والشعب قبل دخوله المدينة تمكن من جمع عدد من رابع والخليص وغيرها غير معلوم فى روايته التى يذكر فيها أثناء دعوته فى الخليص قدموا له الأموال وبعض المتطوعة مجهولة العدد ، وهكذا فى كل مكان نزل به كان الأمر نفسه حتى أتى إلى المدينة المنورة فأكد تطوع ثلاثمائة مقاتل ، فنزل بالجميع دون ذكر رقم محدد إلى ينبع ومنها إلى القصير (٨٧) .

بهذه الروايات العديدة المتضاربة فإن عدد المجاهدين الحجازيين الذين سيروا إلى مصر طبقاً لأقرب الأقاويل يصير ألفين من المكيين بقيادة حسن الكيلاني ابن أخت محمد الكيلاني وأربعة آلاف طبقاً لما أورده حجاف من ميناء جدة ، بالإضافة إلى العدد المجهول الذى سافر صحبة محمد الكيلاني والذى كان قريباً إلى حد كبير مع رواية الجبرتي بأنهم ستمائة مع الكيلاني ، وثلاثمائة من المدينة المنورة نفسها والثلاثمائة الآخرين مع البلاد التابعة للمدينة المنورة القريبة لرواية الحجاف ، ليصبح المجموع النهائى ستة آلاف وستمائة مقاتل وهو أقرب عدد مع

ما ورد مع المصادر الفرنسية (٨٨)، فضلاً عما أورده نقولا الترك بأنهم كانوا سبعة آلاف أماجيد (٨٩). دور عرب الحجاز فى معارك الصعيد :

لم تكن ضخامة إعداد المجاهدين الحجازيين أو صغره ذو تأثير على المعارك بقدر شجاعتهم واستبسالهم فى القتال ، فقد خاضوا معارك عديدة ضد القوات الفرنسية بعدما انضموا إلى قوات مراد بك فى قنا ، وتبدأ مشاركتهم الفعلية فى القتال بداية مع معركة سمهود فى ٢٢ يناير (كانون ثان) سنة ١٧٩٩ حتى احتلال القصير فى ٢٥ مايو آيار (١٧٩٩) ، والتى قدرت بخمسة عشر موقعة ومعركة وثورة هى سمهود والرديسة وقنا وأبو مناع والبارود وقفط وأبنود وبئر عنبر وجرجا وجهينة وثورة بنى عدى وثورات المنيا وبنى سويف وأسوان والقصير ، وباحتلال القصير ينتهى دور العرب الحجازيين فى مصر (٩٠).

هذا الدور للعرب الحجازيين أوجزه البعض (٩١) فى معظم معاركهم بأنه وقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض الحروب بعدة مواضع وينفصل الفريقان بدون طائل ، وفى موضع آخر يبين أن عرب الحجاز كانوا ملجأً للماليك ساعة العسرة فمحمد بك الألفى يذهب إلى العرب الحجازيين من أجل الانضمام إليه .

وهؤلاء الحجازيون كانوا خصوماً ألداء للجنرال ديزيه (Desaix) وقواته ، وكان السر وراء إقدامهم على موقفهم هذا هو العزم والتصميم على الظفر بإحدى الحسينيين الاستشهاد أو النصر ، وبفضلهم تألفت منهم معظم المقاومات فى الوجه القبلى حينما انضموا إلى أهالى الوجه القبلى وبخاصة عرب هواره

وأهالى النوبة وقوات مراد بك ليشكلوا جبهة حربية إسلامية فى مواجهة جبهة حربية مسيحية كان لها الفضل فى إعاقة التقدم الفرنسى فى الصعيد على فترات متقطعة (٩٢).

والواقع التاريخى يؤكد بأن القوات الحجازية حاربت على مرحلتين الأولى من خلال كل من طاهر الكيلانى وحسن الكيلانى مع وصول الامدادات التالية لها من الحجاز وحتى وصول محمد الكيلانى إلى القصير فى ٣٠ فبراير (شباط) سنة ١٧٩٩ لتبدأ المرحلة الثانية بواقعة أبنود بكافة القوات الحجازية .

ولما كان بحثنا مقتصرأ على نواحى نشاطهم فقط دون التعرض لذكر المواقع التى سبقتنا إليها بعض الدراسات (٩٣)، فسوف نسوق بعض مما يؤكد ما ذهبنا إليه ، ففى بداية شهر فبراير (شباط) سنة ١٧٩٩ يدرك ديزيه عقب مطارדתه لمراد بك حتى النوبة أنه ترك خلفه وحدات من الحجازيين تمكنت من إسقاط عدد كبير من الحاميات الفرنسية (٩٤) قدرتهم بعض المصادر الفرنسية بما يوازى من ستة إلى سبعة آلاف متطوع حجازى من المكيين فور وصولهم إلى القصير (٩٥).

أما خسائر القوات الفرنسية من جانب الحجازيين فقد كانت فادحة وتعبر عن مدى صلابة هؤلاء الحجازيين فى مواجهتهم فعلى سبيل المثال لا الحصر فى موقعة أبنود أو السفينة ايتاليا لقى عدد كبير من القوات الفرنسية حتفهم قدروا بخمسمائة جندى فرنسى ، خلافاً لفقدانهم لسفينة نابليون المسماة (ايتاليا) مع كميات هائلة من الذخيرة والسلاح ، وتلك الحادثة الفريدة فى الوقائع بين الفرنسيين والحجازيين كانت الأخطر على وجه الإطلاق لأنها كانت الخسارة الأفذح التى منى بها الجيش الفرنسى فى الوجه القبلى بشكل كامل (٩٦).

هذا وقد ثبت لدى الفرنسيين أن قوة الحجازيين وفلولهم بين النيل والقصير كانت محل انتظار لإمدادات جديدة تعبر عن شجاعتهم ووقف المد الفرنسى ، فما إن يظهر فى الأفق البعيد أن ديزيه يسيطر على صعيد مصر ولكن ما يلبث أن يولى ظهره حتى يلتئم شمل الحجازيين المتفرقين ويحتلوا الإقليم ، هذا الإزعاج الذى سببه الحجازيون للفرنسيين ترك أثر كبير لدى ديزيه فى مطارדתهم شمالاً وجنوباً وأقنعه ذلك بأن قطع رأس كل حجازى هو الحل الأمثل (٩٧).

فى نفس الوقت أدرك ديزيه أنه لن يتمكن من السيطرة على صعيد مصر حتى يصبح سيداً للمنطقة إلا فى حالة استيلائه على ميناء القصير الذى يتدفق منه الحجازيون ، ولهذا فقد عنى بالحملة على ميناء القصير على البحر الأحمر لسد الامدادات الآتية عبره إلى الوجه القبلى ، فمنه جاء عرب الحجاز الذين شدوا أزر الأهالى فى مقاومة الفرنسيين (٩٨).

ولذلك لم يكن هناك مناص أمام الفرنسيين لصد هجمات المجاهدين الحجازيين إلا باحتلال هذا الميناء لأهميته الاستراتيجية على البحر الأحمر ولأسباب أخرى عديدة منها : منع ورود الامدادات من المجاهدين المتطوعة من الحجاز ذاتها ، وإعادة حرية التجارة مع بلاد شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن منع البريطانيين من السيطرة على البحر الأحمر كما سيطروا على البحر المتوسط لأنه فى حالة سيطرتهم عليهما سيصبح موقف الفرنسيين فى مصر ميئوس منه ، وهو ما جرى تنفيذه بالفعل عندما احتل بليار القصير (٩٩).

وكانت السفن الانجليزية تجوب البحر الأحمر ما بين السويس والقصير وهو ما أعلنه المركز العام للقيادة الفرنسية إلى الجنود الفرنسيين بأن أربع زوارق قد غادرت السويس لتصل إلى القصير ووجدت عدة سفن أخرى محملة بكنوز للمماليك من البن والبضائع الأخرى قد استولى عليها ديزيه في مصر العليا ، ثم وصلت سفينة وفرقاطة تابعتين للانجليز إلى السويس وتم التصدي لهما مما كان يعنى ضرورة الاستيلاء على ميناء القصير (١٠٠).

ففى ٢٩ مايو (أيار) سنة ١٧٩٩ جرد القائد بليار حملة عسكرية على مدينة القصير ومينائها فاحتلتها دون مقاومة تذكر ، وقد ترك فيها قوة عسكرية مجهزة بالمدافع والذخائر تحت قيادة الجنرال دونزيلو (Donzelot) وقفل راجعاً إلى قنا بعد اتخاذ كافة التدابير الدفاعية اللازمة (١٠١).

وبالاستيلاء على ميناء القصير الذى يعد مفتاح الوجه القبلى عن طريق البحر الأحمر بالنسبة للحجاز والمجاهدين الحجازيين والذى يعتبر أيضاً نهاية المطاف للحركات الحربية التى تم بها احتلال الصعيد كافاً نابليون كل من ديزيه وبليار لاحتلالهم صعيد مصر ، واطمان ديزيه لأول مرة بأنه أغلق أبواب المجاهدين الحجازيين وامدادتهم ليؤكد لأول مرة سلطته على صعيد مصر (١٠٢).

وفى خطاب ملىء بالاستهجان والسخرية والمغالطة التاريخية يعبر بليار إلى شريف مكة بعد احتلاله للقصير ومطاردته لرعايا الشريف لعدة أشهر ، ومحاربة رعايا السلطان بقوله : " أنك تعلم أيها الشريف أن الجمهورية الفرنسية حليف حميم للدولة العثمانية ، وأن جيوشها التى لا تقهر تحمى جميع المسلمين أينما وجدوا (١٠٣).

فأين ومتى كان ذلك مع المصريين والحجازيين فى حملته على صعيد مصر وبخاصة مع الأسرى الحجازيين والمغاربة الذين قدموا إلى مصر لمحاربتهم وجرى عليهم الحكم بالإعدام بقطع رؤوسهم للاستعاضة عن الإعدام رمياً بالرصاص توفيراً للذخيرة وسعياً وراء إثناء الأهالى المصريين عن المقاومة بالإرهاب والقتل (١٠٤).

فى الوقت نفسه كان محمد الكيلانى قد استشهد وتفرقت طائفته فى مصر حتى أن عدداً كبيراً منهم قد دخل القاهرة لينتهى دور العرب الحجازيين فى صعيد مصر بعد أن أبلوا بلاء حسناً فى مقاومة القوات الفرنسية (١٠٥) وهكذا يمكن القول أن العلاقة غير الودية التى سادت بين الفرنسيين وأهالى الحجاز ، أو بالأحرى الجهاد المطالب به الحجازى ضد الفرنسى فى مصر قد اقترن بعدة أشياء سيطرت على مجرى الحوادث الحربية يمكن إجمالها فيما يلى :

١- صمود وعزيمة وبسالة من جانب الحجازيين أدت إلى تأخير احتلال الفرنسيين للصعيد من قبل ديزيه ، وترتب عليها استخدام الأسلحة الفرنسية الحديثة التى يفتقدها هؤلاء المجاهدون للفتك بهم دون رحمة أو شفقة .

٢- لجوء القوات الفرنسية فى صعيد مصر إلى استخدام وسائل غاية فى القسوة والعنف تنافى مبادئ الثورة الفرنسية وهى إضرام النار فى القرى والبلاد والبيوت التى يحتمى بها المتطوعون عندما تشتد المقاومة (١٠٦).

٣- انقطاع وصول الإمدادات الحجازية عندما سعى الفرنسيون إلى تحقيق ذلك من خلال السيطرة على المنفذ الذى يأتون منه وهو ميناء القصير .

٤- وفاة الشيخ محمد الكيلانى بصفته الروحية كقائد لهؤلاء المتطوعين ، ثم وفاة القائد التالى له مباشرة الشريف حسن الكيلانى فى موقعة جهينة ، حيث أن وفاة الأول أدت إلى تفرق الكثير من عرب الحجاز فى أنحاء مصر ومنها القاهرة كما أسلفنا (١٠٧).

٥- انبهار واندھاش المصادر الفرنسية والمعاصرين منهم والمشاركين فى الأحداث لصمود وبسالة هؤلاء المتطوعة الحجازيون ، ونعت بعض تلك المصادر لهؤلاء المتطوعة الذين أوقفوهم وأرهقوهم وكلفوهم الكثير من الرجال والذخيرة وهم فى أمس الحاجة إليها (١٠٨).
العلاقة الودية بين نابليون بوناپرت والشريف غالب بن مساعد :
دوافع تلك العلاقة :

تمثل تلك العلاقة الودية بين نابليون بوناپرت من جانب والشريف غالب بن مساعد (حاكم الحجاز) من جانب آخر الوجهة الرسمية والموقف الرسمى المعبر عن الحجاز عموماً من الوجهة السيادية ، فقد كان لكل من نابليون وغالب دوافع لهذا التقارب وردت على لسانهما أو حوتها تحليل ومبررات وردت فى رسائلهما تعبر عن استمرار العلاقة بين الحجاز ومصر ، فى الوقت الذى سعى فيه نابليون بصفته متحدثاً عن مصر فى تواصل هذه العلاقة لأسباب ومبررات سبق الحديث فى جزء منها ، وإن اختلف شكل هذه العلاقة عما كان عليه من قبل تحت الحكم العثمانى (١٠٩).

دوافع الشريف غالب بن مساعد :

الدافع الأول :

ففيما يتعلق بموقف الشريف غالب بن مساعد والذى ورد فى شكل صداقة ودية تعبر عن عدم معارضته لاحتلال مصر - كباقي أهالى الحجاز الذين أعلنوا صراحة عن عدائهم لبوناپرت - من الوجهة الرسمية ، حتى وإن ظهر أو أظهر هو للبعض غير ذلك فيما أورده الشريف نفسه تبريراً لهذا الشكل من العلاقة الودية فيما تضمنته رسائله إلى إمام اليمن (المنصور بن على) بأن ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن حماية ولاياتها دفعته إلى المسارعة لمخاطبة نابليون بوناپرت ومداهنته حتى يأمن جانبه من ناحية ، فضلاً عن خشيته من انقضاء بوناپرت على بلاده من ناحية ثانية ، علاوة على بقاء واستمرار الأحوال التجارية مع مصر كما كانت قبيل قدومه إليها وطلبه العناية بها من ناحية ثالثة (١١٠).

هذا الأمر يؤكد بأن الشريف هو الذى طلب من بوناپرت إقامة ذلك النوع من العلاقة الودية بين الجانبين فيما ورد فى مخطوطة لطف الله حجاز والتى لم نعثر على مثيل أو بديل لها فى الوثائق أو المخطوطات الفرنسية أو حتى فيما ورد من منشورات الحملة والتى تؤكد حرص بوناپرت على إرسال خطابات إلى كافة الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها الحجاز .

فقد ورد فى نص رسالة نابليون التى بعث بها إلى الشريف غالب فى أغسطس (آب) ١٧٩٨ أى عقب دخوله القاهرة بنحو شهر أنه البادئ بالرسائل ، وهو دليل على مدى الأهمية التى أولاها نابليون لهذا الأمر وليس الشريف (١١١).

فى حين أن هذه الرسالة نفسها وردت فى صحيفة الكورييه دى ليجييت (١١٢) فى ١٧ نيفور (الموافق السنة السابعة للجمهورية الفرنسية) المؤرخ فى ٧ يناير (كانون ثان) سنة ١٧٩٩ وهو يخالف ما ورد فى تاريخه السابق من أعمال نابليون والتى نشرها محمد زكريا عنانى(١١٣). وعلى أية حال سواء أكان البادئ فى العلاقات نابليون طبقاً لرسائله السابقة أو الشريف كما ورد فى رسالته لإمام اليمن والتى قد يكون هدفه منها الإسراع فى الرد على خطاب نابليون دون غيره ممن وصلتهم الرسائل وهو ما يعبر عن أنه ليس البادئ فى الإرسال ، لكن الأمر انتهى إلى إقامة العلاقة نفسها وإن كان بونابرت سيكون فى مسيس الحاجة إليها من الشريف غالب نفسه ، وما ورد فى الكورييه لا يعبر صراحة عن ذلك التاريخ لأن بداية إنشاء الصحيفة نفسها كان فى ٢٩ أغسطس (آب) سنة ١٧٩٨ ووضعت الرسالة فى ملحقه بتاريخ مخالف(١١٤) الدافع الثانى :

يتمثل فى اعتماد الشريف الاقتصادى الشديد على مصر سواء بسبب إيرادات الأوقاف المخصصة لتمويل وصيانة الأماكن المقدسة أو قافلة الحج المصرية التى تتجمع فيها قوافل الحج الإفريقية مما يؤدى إلى إنعاش الاقتصاد الحجازى ، فالقوافل البرية وقوافل الحج المصرية المصدرة إلى موانئ شبه الجزيرة العربية كانت تحمل كميات كبيرة من السلع والبضائع ذات الأحجام الضخمة ، قدرت بعضها بستة آلاف جمل مما يدل على ضخامة حجم الحركة التجارية القائمة بين شبه الجزيرة (الحجاز) ومصر والتى كانت تعد المركز الرئيسى لتوزيع هذه السلع بالرغم من تعرض هذه القوافل للاعتداءات من جانب العربان ، هذه القوافل حملت فى طياتها عدد كبير من المنتجات المصرية والمغربية والشامية والأوربية والتى كانت تنقلها السفن من الموانئ المصرية على البحر الأحمر كالقصير والسويس أو من خلال القوافل البرية والتى شملت فى مجملها القمح والعدس والأرز والسكر والزبدة والزيت ونسيج الكتان وزهور قرطم ، خلافاً لمواد ومنتجات مصرية أخرى كالحديد والرصاص والنحاس والورق ، فضلاً عن الحلى الزجاجية وارد البندقية والمرجان وغيره ، وهذه البضائع كانت تصدر إلى شبه الجزيرة عن طريق السويس (١١٥).

كما أن مصر بأسواقها وموانئها كانت السوق التجارى الرائج لكل التجارة والبضائع الآتية من الهند عبر ميناء جدة الذى يعج بتجارة البن القادم من اليمن (١١٦).

والمعروف أن شبه الجزيرة العربية بسواحلها كانت تمثل نقطة ارتكاز رئيسية فى حركة التجارة والعلاقات التجارية مع مصر ، فمن خلال موانئها كان يتم تبادل جزء كبير من المنتجات المصرية والمغربية والشامية بالمنتجات الهندية التى تقد إلى موانئ الحجاز واليمن ومسقط بواسطة أو عبر التجار العرب والهنود الذين يجلبون المنتجات الهندية خلال موسم الحج ، فضلاً عن منتجات جنوب شرق آسيا والتى يجرى تخزينها فى موانئ شبه الجزيرة العربية ثم تجرى عملية بيعها منها ، هذا التبادل للتجار

المصريين كان يتم عبر وكلاء دائمون لهم في هذه الموانئ الحجازية ، وشمل هذا التبادل من موانئ الحجاز إلى الموانئ المصرية القصير والسويس عدد من السلع والبضائع أهمها الأقمشة الحريرية والقطنية وصوف الكشمير والموسلين والحرير والبخور والصمغ العربي والعقاقير ، فضلاً عن البن اليمني والذي كان يصل منه إلى ميناء السويس ما يقدر بـ ١٠٥٠٠ رطل ، بالإضافة إلى السفن الماليزية العديدة والتي وصلت في أعدادها إلى عشرين سفينة محملة بالتوابل والسلع الآتية من شبه جزيرة الملايو (١١٧).

هذا الدافع التجاري المتداخل فيه الدافع الديني وإن كانت قافلة الحج تحمل في طياتها التجارة من قبل الشريف ، عبر عنه بونابرت في بداية رسائله إلى الشريف ليطمئنه على بقاء الحال على ما هو عليه في مصر قبل قدومه والمتمثل في مواصلة الحركة التجارية بين الجانبين المصري والحجازي (جدة السويس) مع انتظام قافلة الحج ووصول مخصصات الحرمين من مال الوقف في مصر ليستدرجه إلى ذلك النوع من العلاقة ، ففي الرسالة الأولى لبونابرت في ٢٥ أغسطس (آب) سنة ١٧٩٨ أكد فيها بونابرت عن عزمه الأكيد والوطيد في حماية رحلة الحج إلى مكة بكل السبل ، ووصول مخصصات الحرمين وكل الأوقاف الخاصة بها وفي حوزة مصر كما كانت في الماضي ، ولتغير شكل العلاقة أكد صداقته للمسلمين في الحجاز ولعقيدة الرسول بدلاً من وإلى مصر العثمانى ، معلناً في الوقت نفسه عن رغبته الأكيدة تلك في القيام بكل ما من شأنه استمرار العلاقة التجارية ، وكل ما يخص صالح الدين الإسلامى من قبل مصر ، بل أكثر من ذلك طالب بالإعلان في كل أنحاء العالم الإسلامى أن قافلة الحج لن تعاني من أى توقف لأنه سيقوم بحمايتها من جانب الأعراب الذين يخشونهم (١١٨).

ولإظهار الجدية ولمزيد من الإقبال على الدخول في تلك العلاقة من قبل الشريف يبادر بونابرت بإرسال رسالته الثانية بعد يومين من رسالته الأولى في ٢٧ أغسطس (آب) سنة ١٧٩٨ يوضح فيها الإجراءات التي اتخذها بالفعل للحفاظ على كل الأموال والمخصصات الخاصة بالحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، ويحيل بونابرت في طريقة التخاطب فيما بينهما بطريقتين ، الأولى : علماء الأزهر الشريف المؤلف منهم الديوان الفرنسى (١١٩)، والطريق الثانى : التجار بمختلف فئاتهم وطبقاتهم وهؤلاء وأولئك يحظون برعاية تامة يكرسها بونابرت أيضاً لكل علماء الشريعة ، وفي نفس السياق وتأكيداً لحسن النوايا أخبره بتعيين مصطفى بك كتخذاً الباشا (نائب الوالى العثمانى) (١٢٠) أميراً لقافلة الحج المصرى (المحمل) مع تعيين القوة اللازمة لمرافقة موكب الحج وتأمين سلامته وإكفال حمايته من غارات الأعراب (١٢١).

وأعرب بونابرت كذلك عن رغبته الشديدة في معرفة رد الشريف حيال الفرقة التابعة له والمخصصة لحماية القافلة ، وتساءل إن كان هناك رأى آخر من قبل الشريف كالاستعاضة عن الفرقة التابعة له بفرقة خيالة من أهالى البلاد أو حسبما يترأى له ، وبالنسبة للحجازيين فإنه طلب منه طمأننتهم وإبلاغهم وكافة المؤمنين بأنه ليس هناك أصدقاء أوفى منه ، أما الأشراف والذين يكرسون وقتهم ولا يدخرون جهداً في تعليم الشعب الحجازى والعمل على نشر تعاليم القرآن الكريم أو بالأحرى كافة طوائف الحجاز فإنهم لن يجدوا لهم حماة أكثر منه إخلاصاً ، وبشأن التجارة الحجازية أكد بأنها لن تكون بمنأى عن الخطر ممن

يحاولون النيل منها فحسب بل ستكفل لها حماية خاصة من جانبه ، واختتم رسالته بشيئين كان لهما التأثير المباشر على الشريف للدخول في مفاوضات لإقامة تلك العلاقة . الشئ الأول تمثل في محافظته الدائمة على مصالح الكعبة الشريفة التي اعتبر حمايته لها شرفا ومجدا له ، والشئ الثاني : أخباره عن كافة الضرورات التي يحتاج إليها أهالي الحجاز من المواد الأساسية كالقمح والأرز والتي سيوليها عناية خاصة كي ترسل إليهم (١٢٢) (١) .

الدافع الثالث :

وإذا كان الدافع الأول الخاص بعدم قدرة الدولة العثمانية عن حمايته من نابليون ، والثاني المتمثل في إغراءات نابليون أو حيله لإقامة ذلك النوع من العلاقة الودية غير المشوبة بالمخاطر كمصالح الدين والتجارة ، فإن الدافع الثالث اختص بالصعيد الداخلي في شبه الجزيرة العربية والمعروف بالصراع بين الشريف وآل سعود ، وهو ما أثر على الوضع الداخلي لولاية الحجاز وأدى بالتالي إلى تأثير الأحوال الداخلية على العلاقة بينهما وبين بونابرت ، فقد كان الشريف في حالة حرب مستعرة مع آل سعود في نجد شملت سلسلة من المعارك بين الجانبين السعودي والحجازي ودامت حتى قدوم الحملة الفرنسية على مصر ، والتي هزم فيها الشريف هزيمة ساحقة وبخاصة في موقعة خرمة التي خسر فيها الكثير من الرجال والعتاد (١٢٣) (١) .

هذا الصراع بين الجانبين على الصعيد الداخلي في شبه الجزيرة العربية وبخاصة على الشريف كان عاملا جوهريا أثر على مدار الأحداث مع مصر ودعا إلى عدم استجداء الفرنسيين ، وهو ما اضطر الشريف للإسراع في عقد صلح مع آل سعود كتهدة للموقف الداخلي عندما راسل الشريف غالب عبد العزيز آل سعود يقترح عليه عقد الصلح بين الطرفين ، وعودة الأجواء الطبيعية إلى سابق عهدها ، فعقدت هدنة بين الجانبين لكنها لم تدم طويلا ، فعقب خروج الحملة من مصر عادت حالة العداء والحرب بين الطرفين مرة ثانية (١٢٤) .

وهكذا وجد الشريف غالب نفسه أمام مجموعة من العوامل التي اضطرتة إلى إقامة ذلك النوع من العلاقة مع محتلي مصر والتي تتمثل في الآتي :

أولا : حرمانه من الموارد الاقتصادية التي تأتيه من قبل مصر مرة واحدة سواء ما يتصل منها بالمواد الغذائية أو المبالغ النقدية المخصصة للحجاز كل عام .

ثانيا : توقف قافلة الحج المصري وهي إحدى مصادر الدخل الهامة للحرمين الشريفين .

ثالثا : توقف النشاط التجاري بين ميناء جدة الرئيسي بولاية الحجاز والسويس في مصر .

رابعا : شعوره بالمرارة تجاه غياب العون من جانب الدولة العثمانية ضد هذا المحتل الفرنسي الذي يرغب في احتلال بلاده .

خامسا : زيادة على ذلك فإنه رأى ميل الفرنسيين إلى تنصيبه كمرجع ديني متميز بل ومنافس للخليفة العثماني الذي يهيمن على كل الولايات الإسلامية ، وهو ما ظهر من ألفاظ نابليون إلى الشريف غالب كسلطان مكة وغيره ، وهو ما دفعه دفعا نحو اختيار مراعاة السادة الجدد في مصر (١٢٥) .

لكل هذه الدوافع بادر الشريف بالرد على نابليون بعد أن وجد هناك تذليل لكافة الصعوبات والعقبات التي واجهته ، ففي إحدى رسائله التي رد بها على رسالتى نابليون يؤكد فيها وصول تلك الرسالة وفهم محتواها ، ويصفه فيها بالأمير حامى العلماء وصديق الكعبة (١٢٦).

والرسالة فى مضمونها احتوت على الشقين اللذين كان الشريف غالب فى حاجة ماسة إليهما ، فالشق الأول : المختص بإسناد بونايرت إمارة الحج وقافلة الحجاج إلى مصطفى أغا كخيا باشا رحب به وأعلن عن سروره بهذا الاختيار ، أما تشجيع بونايرت وعزمه على إرسال الحجاج المسلمين لزيارة بيت الله الحرام وطلب الأمن والطمأنينة من جانبه ، وهو ما يعنى عودة قافلة الحج إلى سابق عهدها ، فأكد أنه لا توجد ضرورة مانعة لذلك ، بل أكد حمايته التامة لها وعدم تعرض الحجاج لأى أذى أثناء زيارتهم للكعبة المشرفة ومسجد الرسول فى المدينة المنورة لأنهم سيكونون فى أمان كامل من العربان ومعاملتهم السيئة ، معلناً عن أن الباب مفتوح للزيارة أو الحج وذلك لأن المولى سبحانه وتعالى لم يأمر بإقامة بيته المقدس إلا لجعله مكاناً لالتقاء المسلمين ، وعلى ذلك فلكل مسلم الحق فى الحضور إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج دون خوف أو تردد (١٢٧).

أما الشق الثانى : الخاص بتشجيع تجارة البن عبر موانئ مخا باليمن وجدة بالحجاز والسويس بمصر ، فأعرب عن مخاوف تجار الحجاز من مشاكلات الممالك لهم ، أما فى حالة فرض الأمن والأمان فأكد أنه إذا كانت هناك نية لتنمية تلك التجارة فينبغى على الفرنسيين اتخاذ بعض التدابير التى من شأنها إدخال وبعث الطمأنينة على قلوبهم كمصارحتهم بالرسوم الجمركية (العشور) التى ستقرر عليهم ، خاصة على كميات البن أو غير ذلك من السلع التى سيتاجرون فيها ، فإذا ما تحقق ذلك فإنهم سيهرعون إلى الفرنسيين جماعات وفردى ، ودون ذلك فسيمنعهم خوفهم من المشاغبات والمشاكسات من قبل العربان أو حتى الممالك عن الحضور إلى مصر للتجارة (١٢٨).

والجدير بالملاحظة فى تلك الرسالة أن الفرنسيين استغلوا للدعاية لأنفسهم بين أهالى القاهرة حيث علقت فى بعض الأماكن الرئيسية بالقاهرة ليطلع عليها الأهالى ، وليظهروا على ضوئها بمظهر الحريصين على إقامة الشعائر الدينية ، وتأكيدهم على إقامة علاقات طيبة مع شريف مكة (١٢٩).

فى الوقت نفسه وتأكيداً على الرغبة الملحة لإقامة تلك العلاقة ولإزالة أية صعوبات قد تعترضها فإن بونايرت رد على مطالب الشريف فيما يخص موضوع التجارة بين مصر والحجاز ، ففي رسالته التى أرسلها إليه فى ٢٥ يناير (كانون ثان) سنة ١٧٩٩ يخبره فيها بتسلم رسالته وفهم محتواها وبخاصة قلق التجار الحجازيين تجاه الرسوم الجمركية ، وأرفق بالرسالة اللائحة (١٣٠) التى قام بوضعها لتنظيم جمرك السويس وعزمه الأكيد على تنفيذها بدقة متناهية (١٣١).

معبراً عن عدم شكه فى أن تجار الحجاز سوف يلحظون مدى التناقض الواضح على الرسوم الجمركية وذلك بهدف الصالح العام للتجارة المصرية والحجازية ، وهو ما يدعو إلى طمأنة التجار بأنهم سيحظون فى مصر بموفور الحماية ، ومؤكداً فى نهاية رسالته باستعداده الكامل لتلبية أية احتياجات يطلبها الشريف من مصر (١٣٢).

وكان نابليون قد اتخذ بهذا الصدد عدة اجراءات عندما سارع بتعيين كلمن الجنرال جونو (Junot) وبارسفال (Parseval) عضوى بالمجمع العلمى بدلاً من فالنتين (Valentin) قائد حامية الحملة على السويس ، كمديراً لإدارة حركة الرسوم الجمركية بها فى ١٧ يناير (كانون ثان) سنة ١٧٩٩ (١٣٣).

كما اجتمع فى وقت سابق فى ٢٨ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٧٩٨ بقباطنة السفن الراسية فى ميناء السويس ، وهؤلاء القباطنة ومعظمهم من الحجازيين أو العثمانيين أو اليمنيين كانوا يمارسون الملاحة البحرية بين موانئ شاطئ البحر الأحمر قد أفادوا بونايرت بمعلومات جيدة عن التجارة فى البحر الأحمر فأفهمهم أن نوايا فرنسا تتمثل فى حماية التجارة والمشتغلين بالملاحة ومساعدتهم بكافة السبل ضد هجمات البريطانيين أو غيرهم كما أعلن أمام القباطنة العرب أن مشاعر حكامهم من اليمن أو الحجاز أو مسقط (١٣٤) تجاه الفرنسيين طيبة جداً ، وأصدر أوامره بتخفيف الرسوم الجمركية التى تحصل عن البن المستورد (١٣٥).

دوافع نابليون بونايرت :

أما عن دوافع نابليون بونايرت لإقامة تلك العلاقة بين مصر والحجاز فقد تمثلت فى الآتى :

الدافع الأول :

يؤكد الواقع التاريخى بأن الحملة الفرنسية كانت فى أمس الحاجة لتجارة الحجاز أو حتى وساطة الحجازيين لوصول التجارة إلى مصر بعدما تم محاصرتها من جانب الأسطول الانجليزى فى شمال البحر المتوسط فى أغسطس (آب) سنة ١٧٩٨ ، حينذاك رأت حكومة الإدارة فى فرنسا بأن يعتمد بونايرت على نفسه من الموارد الموجودة فى مصر أو استحداث موارد جديدة إثر انقطاع وشل الحركة التجارية فى مصر من جانب ، أو حتى الإمدادات التى كانت تأتية من فرنسا من جانب آخر عبر البحر المتوسط (١٣٦). وهو ما عبر عنه تاليران (المسئول عن إنفاذ الحملة على مصر) فى شكل خطاب - قدمه إلى رجال الإدارة الفرنسية الذين كانت لديهم الرغبة فى تقديم النصح لبونايرت وإن أعربوا عن أنفسهم تجاه عجزهم عن تقديم أى معونة له - تضمن معلومات سلمت إلى بونايرت ، فندت فيه حكومة الإدارة الموقف السياسى فى فرنسا ووصفته بالمظلم نتيجة إعلان الحرب عليها من قبل روسيا والدولة العثمانية مع إمكانية انضمام النمسا إليها وضعف حلفاء فرنسا كالهولنديين وحياد بروسيا ، وهو ما دفعها لتقديم النصح له بأن يتدبر أمره بنفسه وجيشه على الأقل فترة من الزمن ، واستحسنّت حكومة الإدارة عمل بونايرت وإقدامه على اكتساب الشعب المصرى فى جانبه ومحاولاته إقامة علاقة مع الشريف غالب والعرب عموماً ، فضلاً عن اجتذاب حلفاء كثيرين ، وذلك طاملاً أنها عاجزة عن إرسال معونة له ، ولهذا قررت حكومة الإدارة نظراً لعجزها عن تقديم العون أن تترك له حرية اتخاذ القرار بشأن ما يجب عمله حيال البقاء فى مصر والصمود فى وجه الهجمات العثمانية أو استكمال الوصول إلى الهند وإثارة الانتفاضة الهندية الكبرى ضد انجلترا ، أو الزحف إلى الأستانة للتعبيل باقتسام الدولة العثمانية ، مقررّة موافقتها المسبقة على الطريق الذى يسلكه حسبما يتيحه موقفه وما لديه من وسائل فى هذا الشأن(١٣٧).

الدافع الثانى :

يتمثل في الأحلام التي راودت بونابرت ورجال حملته عقب موقعة أبي قير البحرية في محاولة من جانبهم لمعرفة مصيرهم المجهول ، والذي رأوه في إقامة مستعمرة فرنسية في مصر تكفل خروجهم من هذا المصير المجهول ، وذلك بالاستيلاء على السويس وتشييد الحصون وكل ما من شأنه تهديدهم ، وإصلاح القناة التي تربط السويس بالنيل وتهيئتها للملاحة وفتح المجال للحريين البحرين الأبيض والأحمر وفرنسا والهند ، وفي حالة حدوث ذلك فإن البحر الأحمر بشقيه الشرقي في شبه الجزيرة العربية والغربي في مصر يجب أن يكونا في حوزتهم ، وذلك إما عن طريق إقامة علاقات بينهما أو الاستيلاء على الجانب الشرقي وهو في حكم المستحيل ، ولذا فإن بونابرت فضل إقامة العلاقات وكل ذلك سيؤدي - في وجهة نظرهم - بأن تصبح مصر مستودعاً للبضائع القادمة من أوروبا وآسيا وسيؤمن للسفن الفرنسية طريقاً آمناً بدلاً من اضطرارها للمرور عن طريق جبل طارق أو اتخاذ طريق رأس الرجاء الصالح بتكلفته الباهظة (١٣٨).

الدافع الثالث :

أما الدافع الثالث لبونابرت للخروج من مأزق محاصرة الأسطول الإنجليزي لشواطئ البحر المتوسط فتتمثل في إرساله عدد من الرسائل التي بعثت إلى كافة الولاة العرب التابعين للدولة العثمانية والمجاورة لمصر وغيرها وعلى رأسهم الشريف غالب (والى الحجاز) ثم ولاية طرابلس ودمشق وعكا ومسقط (١٣٩) وحتى تيبو صاحب (سلطان ميسور بالهند) (١٤٠) والذي كان خصماً لدوداً للإنجليز وإن كانت وجهة نابليون لتلك الزاوية من الاتصالات الودية مع الولاة العرب قد استتبعه باستقبال عدد لا بأس به من تجار الحجاز واليمن ومسقط تأكيداً لتلك الخطة وإن لم يعلن عنها (١٤١).

وإن كانت تلك العلاقات في ظاهرها إسلامية ، لكن باطنها يعبر عن السماح بحرية التجارة الفرنسية في مصر مع تلك الدول كإنشاء صلات ودية عدة مع الولاة والأقطار المجاورة ، وهي السياسة الإسلامية التي أعلن عنها بونابرت ووردت في معظم منشوراته (١٤٢).

وذلك ما دفعه لإقحام علماء وشيوخ الأزهر لإرسال رسالة إلى الشريف غالب بن مساعد استكمالاً لتلك السياسة كالرسالة التي بعثها المشايخ والأعيان بإيعاز منه تصديقاً لسياسته ، وقيل أن الشيخ محمد المهدي (صديق الفرنسيين) كتب هذه الرسالة بنفسه في الأول من سبتمبر (أيلول) ١٧٩٨ (١٤٣).

وقد أحاط العلماء فيها الشريف غالب وسانر الأشراف المنتسبون إلى الرسول وعلماء الإسلام في مكة والقضاة والأئمة في المدينة المنورة وعموم التجار وموظفي الحكومة المقدسة علماء بكافة مجريات الأمور في مصر تحت حكم بونابرت بداية من الاحتلال وموافقة على أداء الشعائر والفرائض الدينية وصدافته للسلطان العثماني وتبجيله للنبي والقرآن الكريم ، وعدائه للبابا عدو المسلمين ، وضرب المهدي في رسالته مثلاً على سماحة بونابرت صديق الإسلام بقافلة الحج التي استقبلها بنفسه في إقليم الشرقية حماية لها من الأعراب واللصوص والمجرمين الذين سلبوهم أمتعتهم وخيراتهم ، فضلاً عن الاحتفالات التي أقامها وشارك فيها إرضاءً للمؤمنين وتبديداً لمخاوفهم وهمومهم كمولد النبي وغيره (١٤٤).

وأكد المهدي في رسالته رغبة بونابرت الصادقة في إقامة علاقة بين الجانبين تشمل كافة الأمور التي كانت قائمة بالفعل بين الولايتين التي كانتا تابعتين للدولة العثمانية وهما الحجاز ومصر ، وعلى رأسها

تعيين أمير جديد لقافلة الحج ، واتخاذ الإجراءات التي تسبق قافلة الحجاج ومنها إسناد مهمة القافلة إلى الأمير مصطفى أغا بدلاً من أبي بكر باشا (والى القاهرة) لكي يلقى القبول لدى الباب العالي (١٤٥). وأظهر المهدي أيضاً في رسالته مدى النشاط والإخلاص العظيم من قبل بونايرت بمصالح الحرمين وكل من شأنه إنفاذ قافلة الحج ، مضيفاً إلى ذلك تأثير بونايرت على العلماء أو بالأحرى ضغطه عليهم وتوصيته لهم بإرسال تلك المعلومات إليه باعتبارهم شهود عيان على أفعاله وأقواله كي يتخذ ما يراه ملائماً لهذا الأمر من جانبه (١٤٦).

وهذه الرسالة وغيرها من رسائل نابليون شجعت الشريف لأن يبعث رسائله إلى كل من أمير الحج وبونايرت يوصى فيها بأهمية كسوة الكعبة التي تأتي كل عام على رأس قافلة الحجاج ، ومطالباً بعدم حضور القافلة دون إحضار الهدايا المعتادة ، ولذا فإن بونايرت كان أكثر اهتماماً بتصنيع الكسوة وجعلها أكثر أبهة وعظمة أكثر مما مضى (١٤٧)

الدافع الرابع :

ويتمثل في اتخاذ الشريف غالب واسطة تجارية للحملة الفرنسية في مصر ، فضلاً عن إمكانية وضع الحجاز كمحطة بريدية في الشرق بين الهند وعمان وجنوب البحر الأحمر ، وبمعنى آخر فقد أراد بونايرت أن يقيم حلقة اتصال كاملة - بعد ورود الأخبار على الحملة في مصر - بين مصر وسائر بلاد الشرق بواسطة الحجاز (١٤٨)

وتأكيداً لهذا المعنى بعد إقامة العلاقة الفعلية بين الجانبين خاصة وأن الشريف كان الحاكم العربي الوحيد الذي رد على رسائل بونايرت ومهد لتلك العلاقة أن أرسل بونايرت عدة رسائل إلى السلطان تيبوبن حيدر على وإمام مسقط (١٤٩) والقائم بأعمال الشريف في مخا باليمن بطريق الشريف ووساطته ، ورد الشريف بقبول هذه الوساطة عندما تسلم الرسائل من طرف بونايرت وإرسالها إلى الأطراف الموجهة إليهم ، ففي رسالة الشريف إلى بونايرت في ٢٨ إبريل (نيسان) سنة ١٧٩٩ يخبره بإيجاز رغبته التي أعلنها في أكثر من مناسبة بإرسال الخطابات الثلاثة التي بعثها إليه بطريق الوساطة متمنياً وصول الرد إليه في أسرع وقت (١٥٠).

وقد أعرب بونايرت عن عميق شكره وامتنانه للشريف غالب في رسالة بعث بها إليه في ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٧٩٩ لقيامه بإرسال رسائله السابقة إلى الهند ورسائل أخرى إلى فرنسا مضيفاً إليها رسائل جديدة لانفاذها ، ومؤكداً في رسالته عن ثقته وتقديره لشخص الشريف وما يمكنه له من صداقة ، وتقديراً لهذا الدور للشريف فقد أمر بونايرت حاكم (إيل دي فرانس) (١٥١) بدفع مبلغ يقدر بأربعة وتسعين ألف فرنك إلى شريف مكة ، هذا المبلغ كان سينول أمين الصرف بالجيش الفرنسي بسحبه بموجب ثلاث رسائل تحويل على أمين الصرف في إيل دي فرانس ، ومن جانبها كانت ستلتزم الخزنة الوطنية الفرنسية باتخاذ الإجراءات اللازم حيال هذا الأمر ، وكان الشريف أضحي محطة بريرية لحملة نابليون في الشرق ، كما كان السر وراء هذا العمل من جانب بونايرت واستغلال الشريف في هذا الصدد

كان للخروج من مأزق محاصرة الحملة في مصر ، ولكي يكون لديه قناة شرعية موثق بها لمراسلة حكومة الإدارة بالرغم من وجود الطرادات الانجليزية التي تعيث في البحر الأحمر فساداً (١٥٢) وعلى وجه العموم فإن دوافع التقارب الفرنسي في مصر والحجاز في شبه الجزيرة العربية تمثلت في البحر الأحمر والمواصلات إلى الهند والحركة التجارية الفرنسية كباب رئيسي يجب طرقه ومن أجله نفذت الحملة على مصر ، علاوة على أهمية الدين الإسلامي بالنسبة للطرفين شاملة قافلة الحج ومحاوله الوصول إلى الأماكن المقدسة والنفوذ إلى عاصمة دولة الخلافة ، وإن كان هذا الأمر هو أحد المشروعات التي وردت في فكر بونايرت للخروج من ذلك الحصار في البحر المتوسط .

وعلى أية حال فإن كان لكل من الشريف غالب بن مساعد ونابليون بونايرت دوافعه لهذا التقارب وإن أخذ شكل الود تارة والتهديد تارة أخرى من قبل الأخير إلى جانب الأول خلال سطور الرسائل بين الجانبين ، ففي صدر المنشور الذي تضمن رسالة الشريف غالب إلى بوسيليج تهديد غير مباشر لم يتمرد على الحكم الفرنسي ، فهو يندد بمتطوعي الحجاز الذين انضموا إلى الفرنسيين في مقاومتهم للزحف الفرنسي على صعيد مصر ويصفهم بانهم قطاع طرق (١٥٣)

وإن كان كل منهما لا يطمئن إلى الآخر فشريف مكة الذي كان يعتمد دخله وموارده على الحجاج القادمين من مصر ، وعلى صادرات البن ، لكن عبارته المطمئنة لبونايرت التي كانت تتطوى على جس النبض ، فنجد إشارات واضحة في بعض الرسائل على ذلك كطلبه ضماناً لحسن النوايا من جانب بونايرت الإبقاء على العوائد والمرتبات التي كانت تأتي من مصر للحجاز باعتبارها جزء من الديوان المالي المصري إبان العصر العثماني ، رهينة أن تبقى العلاقات الودية بين مصر والحجاز ببقاء عودة تلك العائدات (١٥٤)

شكل العلاقة التجارية بين نابليون والشريف غالب بن مساعد :

شكلت مجموعة الرسائل والخطابات المتبادلة بين الجانبين هذا النوع من العلاقة التجارية بصفة أساسية سواء بين بونايرت وكقائد الحملة وبين الشريف ، أو بين مسؤولي الحملة الفرنسية وقوادها والشريف تارة لأخرى ، أو بين علماء الأزهر (أعضاء المجمع العلمي وبخاصة الشيخ المهدي) بوحي وأوامر من جانب بونايرت وبين الشريف تارة ثالثة ، والتي تناولت شكل تلك العلاقة التجارية وموقف التجار الحجازيين ، ومخاوف شريف مكة تجاه قطاع الطرق الذين يتعرضون للتجارة الحجازية وما يتعلق بها من قوافل الحج المصرية وغيرها ، في الوقت الذي استهدف فيه بونايرت التقرب للشريف لاتخاذ أساس وواسطة بينه وبين الهند من جانب والإبقاء على باب البحر الأحمر مفتوحاً أمامه من جانب آخر ، تلك العلاقة شملت كل ما عن للشريف للوصول إليها ومنها الرسوم الجمركية ومخاوف التجار الحجازيين على تجارتهم سواء في البحر الأحمر أو العربان في مصر (١٥٥)

ففي إحدى الرسائل المرسله من نابليون والرد من جانب الشريف تبين منها تقرير الرسوم الجمركية بين مصر والحجاز والتي سيتم تأديتها عن البضائع القادمة عن طريق البحر ، وكذلك البضائع التي سمح لبونايرت بإعفائها من الرسوم والمقدرة بخمسمائة شحنة تعبيراً عن ثقة بونايرت في الصداقة بينه وبين الشريف (١٥٦) .

هذه الرسوم المقررة من قبل يونابرت ، فضلاً عن الشحنات المعفاة من الرسوم والتي أوردتها الجبرتى (١٥٧) شملت تسع سفن كبيرة من الحجاز إلى السويس محملة بالبن والبهار ، وبضائع تجارية أخرى ، تضمنت هذه البضائع خمسمائة فرق بن كانت لشريف مكة وحده ، هذه الشحنات المعفاة من الضرائب كانت لها سببا وجيه يتصل بالشريف ، فإن تعرض الإنجليز لهذه الشحنات فى البحر الأحمر وتخوفاً من عدم وصولها فقد أرسل الشريف رسالة للإنجليز كى يسمحوا للقافلة التجارية بالمرور وعدم منعها للوصول إلى مصر ، فتم السماح لها بأيام محددة شملت أيام نقل الشحنة بعد الحصول على رسوم معينة للقافلة ، فما كان من ابن الشريف إلا أن بعث برسالة ليونابرت يطالب فيها بالإعفاء من العشور حتى لا تتحصل عليها الرسوم مرتين مع هدية قيمة قبل وصول القافلة التجارية بنحو عشرين يوماً ، وكان هذا السبب فى الإعفاء المشار عاليه .

هذا العمل العدائى من جانب بريطانيا تجاه الشريف أدى بلا شك إلى تأييد الشريف لجانب فرنسا فى موقفها ضد بريطانيا ، فمن خلال سطور كلماته التى أرسلها إلى الإمام المنصور على (إمام اليمن) نجد التحريض واضحاً ضد الإنجليز لعدم السماح لهم بإقامة قاعدة لهم بباب المندب ، بل حذره بعدم السماح للبريطانيين بالحصول على أى قطعة أرض على السواحل لإقامة تلك القاعدة فى باب المندب (١٥٨).

وكان يهتم الشريف بالضرورة أيضاً من جانب هذا العمل دفع كل اعتداء من جانب الفرنسيين على تجارته فى البحر الأحمر سواء الآتية من الهند أو عمان أو اليمن ، خاصة مع نشاط الفرنسيين فى تعقب كل السفن سواء الإنجليزية أو الحجازية تحت حجة أنها بريطانية أو غيرها ، وفى إحدى المقالات التى نشرتها الكوربيه دى ليجييت (١٥٩) أكدت بأن راكبين قد وصلا ضمن سفينتين إلى ميناء الشرم (شرم الشيخ) واكدأ بأن فرنسى الهند قد استولوا على كل الذهب والفضة التى أرسلها تجار جدة مع تغير موسم الرياح الموسمية .

وأشارت الصحيفة فى الوقت نفسه بأن تلك الرواية غالباً ما تكون عن حملة قامت بها السفن الفرنسية على كمية النقود المرسلة من الفرع التابع لشركة الهند الإنجليزية فى جدة للتجارة مع عرب الجزيرة العربية (١٦٠).

وفى إحدى الرسائل الموجهة من جدة إلى القاهرة فى ٢٠ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٧٩٨ أفادت بوصول سبع سفن هندية من بومباى إلى السويس ، وأربع من البنجال وأخرى من ملبار ، وعدد كبير من المراكب الآتية من مسقط واليمن ، هذه السفن والمراكب كانت عائدة من جدة ومن مخا باليمن ، ولكن مع تغير الرياح الموسمية أدى إلى استيلاء المدرعات الفرنسية على ثلاث سفن من بومباى بالقرب من عدن كانت عائدة من جدة ، كما استولت على سفينة من مسقط وزورقين آخرين ، هذا النشاط الفرنسى فى الخطف والنهب والاستيلاء على التجارة العربية الإسلامية أدى بلا شك إلى وقوع سبع سفن غنية بما تحتويه من نقود سائلة وبضائع وكلها جرى إرسالها إلى جزيرة فرنسا (جزر موريس) ، والغريب أن الصحيفة أملت أن تفلت باقى السفن الأخرى التى ابحرت من ميناءى مخا باليمن وجدة بالحجاز من المدرعات الفرنسية التى تجوب البحار لهذا الغرض (١٦١).

وعلى أية حال فإن العلاقة التجارية رغم ما يكتنفها من مخاوف بالنسبة للشريف وطمأنة من جانب بونابرت فإن العلاقة الرسمية والفعلية كانت بين الشريف غالب وبونابرت من جانب وبوسيليج (Poussielgue) مدير عام الحدود بمصر ومراقب نفقات الجيش الفرنسى ومدير الشؤون المالية بالحملة - من جانب آخر ، والتي وردت فيها تفاصيل الشحنات الصادرة والواردة ، ومطالب الشريف الفعلية ، بل والكميات المطلوبة من مصر تجاه الحجاز والعكس ، وهذه كلها وفى جوهرها كانت صلات تجارية بحثة . ففى رسالة الشريف إلى بوسيليج رداً على رسالته يؤكد فهم محتواها وبخاصة رفع العشور عن البن أغنى السلع التجارية ، وكذلك بذل الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه ، وهو ما أوجب لديه دواعى السرور ، ورفع الشك ، وأوجب اليقين والصدق فى تكوين أسباب الصداقة والمبادرة بتنظيم تلك العلاقة التجارية ، وذلك بإرسال خمسة مراكب مشحونة من ميناء جدة إلى السويس رغم الأكاذيب الصادرة عن العربان وسلبهم للتجارة الحجازية التى تؤرق مضاجع التجار الحجازيين ، يؤكد الرسالة التى أرسلت والتى أزال تلك المخاطر وكافة الظنون والأكاذيب ، وأوجبت الطمأنينة لتلك الشحنة (١٦٢)

وطالب الشريف فى حال وصول رسالته إرسال الجنود الفرنسيين إلى ميناء السويس لحفظ أموال التجار الحجازيين ولإيصالها إلى القاهرة كى يزاول التجار أحوال البيع والشراء ، أما فى حالة رجوع التجار الحجازيين من القاهرة إلى السويس فطالب بوجوب حراستهم بالجنود أيضاً لحفظهم من شرور وقطاع الطرق والعربان ، وذلك لأن الشحنة - على حد تعبيره - بما تحويها من بضائع ما هى إلا تجربة من قبل أعيان التجار الحجازيين ، فإكرامهم والاحتفاء بهم يزيل كل ريب عن قلوبهم (١٦٣).

وتمنى فى رسالته أن تصطبغ الطرق بالأمن والأمان ، وأن تتوفر الأسواق اللازمة لتصريف التجارة بأفضل مما كان فى الماضى لكى يكثر الوارد إلى مصر من التجارة الحجازية ، وخص بالذكر مراكب البن الخاصة به ، وأمل أن يلقي رجاله بعين العطف والاهتمام وبذل الهمة لهم والمعاملة بالمثل فى هذا الصدد (١٦٤).

وعقب وصول تلك الرسالة بأسبوع أعلن عن وصول إحدى عشرة سفينة حجازية إلى ميناء السويس لتبدأ العلاقة الفعلية - بعد فترة جس النبض بين الجانبين - بين الحملة الفرنسية وتجارها (١٦٥).

وقد وردت كافة ما أبهم من شكل تلك العلاقة من مطالب الشريف من قبل بوسيليج ورد الشريف عليها وذلك فى رسالة أخرى محررة من لدنه إلى بوسيليج باعتباره مدير عام الإدارة المالية بالحملة فى الرابع من يونيو (حزيران) سنة ١٧٩٩ يصفه فيها بالصدى المخلص الحقيقى وزير المالية ، الذى بحكمته تذلل جميع الصعاب التى تواجه إدارته ، ويوضح فيها بعض الأمور الملتبسة بخصوص قافلة الحج أو كما سماها (قافلة مكة المكرمة) وذلك بشأن اختلاط رعايا الشريف بأعداء الفرنسيين من المجاهدين الحجازيين الذين سبق التعرض لهم ، والذين اعتبرهم الشريف بعض عرب الحدود ، والذى لم يدخل معهم فى أية علاقة (١٦٦).

وأكد الشريف فى رسالته أن سفنه قد ألقت مراسيها بالفعل فى ميناء السويس ، طارحاً رأيه بأنه يمكن استخدامها فى شحن الكسوة الشريفة والبساط المخصص لبית الله الحرام ، وأضاف إلى ذلك بأنه يمكن

تسليم الوديعة الثمينة لوكيله محمد بن الحسين الذى سلمه هذه الرسالة فهو محل ثقته ، وبخصوص شأن التجارة طالب الشريف بأربع جوازات سفر فرنسية لأسطوله التجارى المؤلف من سفينة ذات ثلاثة صواري والمسماة بفتح الله البارى والمزودة بـ ٣٢ مدفعاً ، وأخرى ذات صاريان تحمل اسم فيض الله تمتلك ١٤ مدفعاً ، علاوة على مركبين إحدهما بثلاثة صواري ومركب للعبيد له صاريين ملكية الشريف محمدعقيل أحد ابناء عمومته ، هذه الجوازات التى طلبها كانت لاستخدامها كمحل مرور حتى لا تضايقها السفن الفرنسية التى قد تلتقى بها فى مياه البحار الهندية أو الحجازية سواء فى ذهابها أو إيابها ، خاصة وأن هذه القافلة التجارية الحجازية كانت ترسل من قبل الحجاز عادة فى كل سنة إلى شواطئ البلاد الهندية محملة ببضائع من الحجاز لمبادلتها ببضائع هندية ، وهو ما سبق التعرض له من خطف السفن الفرنسية للسفن التجارية الحجازية (١٦٧).

مضيفاً بأنه عقب وصول هذه الجوازات فإنه سيرسل هذا الأسطول التجارى محملاً بأندر منتجات الحجاز إلى شواطئ وموانئ الهند التى يمتلكها ، ومؤكداً بأن هذه الجوازات ستظل فى أيدي قباطنة التجار الحجازيين ، مشدداً فى الوقت نفسه إرسالها فى أقرب فرصة ممكنة لأن المراكب مستعدة للإبحار ، ومتمنياً ألا تنقطع المراسلات المتبادلة بينهما وهى عين العلاقة التجارية (١٦٨).

أما عن قائد الحملة الفرنسية وعلاقته بالشريف غالب فإن دخول تلك العلاقة التجارية والاقتصادية إلى حيز التنفيذ دفعت الشريف لبسط كل الأمور المتعلقة بالحجاز بمصر قبيل دخول الحملة الفرنسية إلى مصر على بساط البحث والمناقشة ، وفى رسالته التى أرسلها إلى بونابرت رداً على رسالته التى يعرض فيها على الشريف بعض الاتفاقات التجارية تناول الشريف موضوع الرسوم الجمركية التى أرسلها بونابرت بالفعل وأعفى خمسمائة فرق بن بالفعل ، وبالنسبة لوساطته فى الرسائل فقد أوصل بالفعل الرسائل الثلاث المتجهة لكل من ولد حيدر بن على والمسمى تيبو صاحب سلطان ميسور بالهند وإمام مسقط بعمان ولوكيله بمخا باليمن ، أما عن جلب التجار الحجازيين إلى الديار المصرية فقد اعتمد على أقواله وطمأنته تجاه تجاره سواء الأمان على أموالهم أو أرواحهم ، وهذا جرى سريانه بالفعل كما سبق وأشرنا إليه من خلال رسائله إلى بوسيلج (١٦٩).

ثم فصل الشريف ما جرى من أسباب توثيق تلك العلاقة التجارية والقافلة التجارية الحجازية والتى وردت فى رسائله إلى بوسيلج ، وتطرق إلى أهم موضوع وهو علاقة الحجاز بمصر والعوائد والمرتبات التى كانت تحصلها الحجاز من مصر مع السماح للخمسمائة فرق دراهم نقدية ، متعرضاً ببيان كامل لما هو ثابت للحجاز بالديوان المالى فى مصر والتى تصله صحبة الحاج مع كاتب الصرة وصيرفها وهى كالآتى :

عن الصرة الرومية (١٧٠) ٥٤٠٠٠٠ ، وثمن سرس وشطرات ١٧٠،٩١٧ ، ومعتاد بن حسين فى المدينة المنورة وبنى تراب ٤٨،٧١٧ ، وعن أشراف بنى تراب بدفتر متقاعد ١٩،٥١٢ ، وعن مرتب وقف الدشيشة الكبرى (١٧١) ١٢٥،٣٢٥ وعن وقف المحمدية بالثلث بدفتر متقاعد (١٧٢) ٨٣٣٣٣ ، وجواله كاتب الحرم بمكة من أربطة (١٧٣) ١٧٥٨١١ ، وعن صرة شريف مكة إنماء الدولة العلية

(١٧٤) ١٠٠٠٠٠٠ ، وعن دواوين ٢١٦٣٦٧٩ ، ووقف الجامكية المستجدة يسلمها له أمير الحاج دواوين ٥٠٨٥٠٠ منها ٥٦٥٠ ريال فرنسي (١٧٥)

وهكذا فبالرغم من أن قافلة الحج والصرة والكسوة في عهد بونابرت لم تخرج من مصر وكانت سابقة لم تحدث من قبل في عهد الدولة العثمانية ، فضلاً عن عدم وجود رد من قبل بونابرت على طلباته في المعتادات والرواتب لكن الأمر توقف عند حدود التجارة فقط (١٧٦).

فالثابت أن الرسائل المتبادلة بين بونابرت والشريف غالب كانت حول التجارة والمعاملات التجارية ، وتوطيد الصلات التجارية في مصر ، والصداقة مع الحملة الفرنسية وما يستتبعها من فرائض تخص المسلمين كأساس ثابت يضم الأماكن المقدسة كرحلة الحج ، وغيرها من الأمور التي تخص الأمن سواء في الأراضي المصرية أو في المياه الخاصة بالبحر الأحمر وهما الطريقان الرئيسيان لتجارة الحجاز مع مصر أو حتى مع الهند وبلاد العرب في مخا باليمن ومسقط بعمان ، ولكن بعضها اتضح من الرسائل والبعض الآخر أضحى مبهماً لم تكشفه الحقائق ولم نتكمن من الحصول عليه ، على أن بعض الرسائل تطرقت إلى موضوعات في صلب التجارة منها طلب الشريف الحماية الشخصية من القوات الفرنسية لتجار الحجاز من السويس إلى القاهرة ، وطلب إصدار الأوامر الفرنسية لمراقبة سعر النقل الذي سوف يجرى تنفيذه بين الجانبين بعد إصدار منشور (ديوان الجمارك) المكون من ستة عشرة صفحة والمحتوى على تسع وعشرين مادة (١٧٧).

هذه العلاقة التجارية التي جرى تنفيذها بين نابليون بونابرت والشريف غالب (حاكم الحجاز) استمرت بعد رحيل نابليون عن مصر ، وزاد من شأنها القرارات التي اتخذها الجنرال مينو من خلال رسائل الصداقة بينه وبين الشريف غالب (١٧٨)

هوامش البحث

- ١ (حسام محمد عبد المعطى : العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ م ، ص ١٨)
- ٢ (د/ شوقي عطا الله الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٤٠)
- ٣ (حسام محمد عبد المعطى : المرجع السابق ، ص ص ٢٤ - ٢٨)
- ٤ (د/ عبد الجواد صابر إسماعيل : مصر في العصر العثماني ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٤٠ و د/ السيد محمد الدقن : دراسات في مصر العثمانية ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٥)
- ٥ (د/ عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، الجزء الأول ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ ، ص ص ٢٠ - ٢١ ، ١٨٦ .)
- ٦ (نفس المصدر والجزء ، ص ص ٢٠ - ٢١ .)
- ٧ (دانيال كريسياليوس : جذور مصر الحديثة ، ترجمة / عبد الوهاب بكر ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٥ ، ص ٤٤ .)
- ٨ (لويس بوركهات : قافلة البحر والرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية (١٧٦٢ - ١٩٥٠) ترجمة / سمير عطا الله ، دار الساقى للنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٠)
- ٩ (د/ شوقي عطا الله الجمل : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢)
- ١٠ (نفس المرجع : ص ٤٠)

- ١١) روبر سوليه : مصر ولع فرنسي ، ترجمة / لطيف فرج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص ٣٠
- ١٢) د / مصطفى الحفناوى : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، الأنجلو المصرية ١٩٥٦ م ، ص ٤٤
- ١٣) د / إلهام محمد ذهني : مصر فى كتابات الرحالة والمقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- ١٤) روبر سوليه : مرجع سبق ذكره ، ص ١٧
- ١٥) د / إلهام محمد ذهني : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٢٩ - ٣٣٠
- ١٦) نفس المرجع : ص ص ٢٣١ - ٢٣٢
- ١٧) د / إلهام محمد ذهني : المرجع السابق ، ص ص ٤٢ - ٤٤
- ١٨) د / مصطفى الحفناوى : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٥
- ١٩) نفس المرجع : ج ١ ، ص ص ٤٦ - ٤٧
- ٢٠) لمزيد من التفاصيل حول تلك المعاهدة انظر : د / عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ص ٢١٩ - ٢٢٣ .
- ٢١) د / مصطفى الحفناوى : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ص ٤٨ - ٤٩
- ٢٢) هنرى لورانس : الحملة الفرنسية فى مصر ، ترجمة / بشير السباعى ، الطبعة الأولى ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .
- ٢٣) كريستوفر هيرولد : بونايرت فى مصر ، ترجمة / فؤاد اندرواس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٢٢
- ٢٤) هنرى لورانس : المرجع السابق ، ص ٢٩
- ٢٥) كريستوفر هيرولد : المرجع السابق ، ص ٢٣
- ٢٦) نفس المرجع : ص ص ٢٣-٢٥
- ٢٧) د / شوقى عطا الله الجمل : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٠ - ٢١
- ٢٨) هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣
- ٢٩) يذكر أن حيدر على والد تيبو صاحب اغتصب الحكم من ميسور سنة ١٧٦٩ وأضحت شركة الهند البريطانية نتيجة ذلك أمام منافس قوى للسلطة ببلاد الهند ، وقد أدى استقرار إدارة الشركة البريطانية إلى إبعاد البحرية الفرنسية نهائياً من المحيط الهندي بعد انسحاب الأميرال سفرون ، وإلى منح البريطانيين التفوق العسكرى فى نهاية القرن الثامن عشر وإعطائهم نفوذاً وتسلطاً فى الولايات الصغرى فى الهند حتى أنه لم يتبق إلا ثلاث قوى تواجه الشركة فى الهند هم : إمبراطورية المارثا فى الأجزاء الغربية والوسطى من البلاد ، ونظام حيدر آباد فى هضبة الدكن ، ثم سلطان تيبو حاكم ميسور فى جنوب الهند ، ومع تولى اللورد مورنتجتون البريطانى (المسمى المركزى ولسلى) حاكماً عاماً على الهند فى سنة ١٧٩٨ فى نفس توقيت الحملة الفرنسية على مصر دار الصراع بين الجانبين الفرنسى والبريطانى حول المناطق التى لم تخضع للشركة البريطانية وبخاصة قوة المارثا التى رغب ولسلى فى تدميرها لتصبح الكلمة والسلطة العليا فى الهند للشركة البريطانية ، ومن أجل هذا الهدف كان من الضرورى الإستيلاء على مقاليد السلطة فى ميسور والتى يساندها الفرنسيون ، واضطر نظام حيدر آباد التزام جانب الحياد وذلك لإزالة كل أثر للقوة العارمة التى نظمها الفرنسى رايموند ، فضلاً عن إضعاف الحكومة المركزية للمارثا ببذر الفرقة والخلاف ، وبعد حملة سريعة تمكن ولسلى من تدمير قوة السلطان الهندى وأن يدفع بقوات الشركة إلى مسافة قريبة من موطن المارثا ، كما أحدث لنظام حيدر آباد انقلاباً تمخض عن تسريح قوات النظام التى يهيمن عليها الفرنسيون وتحويل النظام نفسه إلى درجة أمير تابع . ك . م . باتيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد ، دار المعارف، ١٩٦٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٥
- ٣٠) هنرى لورانس : مرجع سابق : ص ص ٣٥ - ٣٦ . وكريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩
- ٣١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ص ١٨٠ - ١٨١
- ٣٢) الجنرال مورا (١٧٦٧ - ١٨١٥) كان قائداً فذاً فى خياله بونايرت ، عين فى سنة ١٨٠٠ مارشالاً فى أوائل العهد الامبراطورى ثم نصب دوقاً على براغ (Berg) ثم ملكاً على نابلى سنة ١٨٠٨ باسم يواكيم الأول ، وفى عام ١٨١٤ اتفق مع الحلفاء ضد نابليون للحفاظ على ملكه لكنه عاد فانضم إليه قبل واترلو ، وكان من نتيجة ذلك أنه طرد من ملكه بعد هذه المعركة ، وقد حاول استرداد ملكه فأفسر وأعدم فى بيتزو (Piza) عام ١٨١٥

- ٣٣ (القائد لانوس أو لانس (١٧٦٩ - ١٨٠٩) دوق مونتيلو (Montebelio) ومارشال فرنسا ، تطوع كجندي في الجيش عام ١٧٩٢ ، ترقى بعد ذلك حتى وصل إلى رتبة جنرال بعد أربع سنوات عام ١٧٩٦ ، وقد تميز بطولاته في حملة إيطاليا ومصر
- ٣٤ (ديزيه ولد في أغسطس (آب) سنة ١٧٦٨ في جبال أوفريه ، ينحدر إلى أسرة تنتمي لصوف النبل ، تخرج من المدارس العسكرية الفرنسية الملكية ، من المؤيدين للحملة الفرنسية والثورة الفرنسية ، لمع خلال العمليات الحربية الفرنسية ، أحد أهم أصدقاء بوناپرت ، ومن المقربين إليه ، ولم يعلوه شهرة سوى شهرة بوناپرت فهو الرجل الثاني بعد بوناپرت مباشرة حتى أنه اقترح على بوناپرت قبيل الحملة القيام بانقلاب عسكري على حكومة الإدارة بقيادته . هنري لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٣١ - ٣٢ . وللمزيد انظر كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٢٣٨ - ٢٤٢
- ٣٥ (نقولا الترك (المعلم) : ذكر جمهور فرنسا في الأقطار المصرية والبلاد الشامية ، أو الحملة الفرنسية على مصر والشام ، حققه : العميد الركن الدكتور / ياسين سويد ، الطبعة الأولى ، الفارابي ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٤٠
- ٣٦ (الكيس أو الكيسة هي إحدى الوحدات النقدية العثمانية المعمول بها في العاصمة العثمانية ، وهي كوحدة نقدية تقدر بخمسمائة قرش في اسطنبول ، والقرش كوحدة يقدر بأربعين بارة ، وهو ما كان يطلق عليه الكيسة الرومية والتي تتساوى عشرين ألف بارة ، أما الكيسة المصرية فتقدر بخمسة وعشرين ألف بارة والمقدرة بستمائة قرش . انظر دانيال كريسيوليوس : جذور مصر الحديثة، ترجمة د/ عبد الوهاب بكر، نهضة الشرق، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٢
- ٣٧ (كريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .
- ٣٨ (إسماعيل بن سعد الخشاب: مخطوط بعنوان: أخبار أهل القرن الثاني عشر، تحقيق/ عبد العزيز جمال الدين ، عماد أبو غازي ، الطبعة الأولى ، العربي للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٥٩
- ٣٩ (عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم في مصر ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ٣٣٧ . وهنري لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٧
- ٤٠ (عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، الجزء الخامس ، الطبعة لأولى ، تحقيق / حسن محمد جوهر ، عمر الدسوقي ، السيد إبراهيم سالم ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٢
- ٤١ (كريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٦ ، ٢٤٨
- ٤٢ (انظر : د/ زين العابدين شمس الدين نجم : دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٩ ، دار الكتاب الجامعي القاهرة ، ١٩٩٦
- ٤٣ (عبد الرحمن الرافعي : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٦٠
- ٤٤ (عزت حسن أفندي الدارندلي : الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى ، ترجمة / جمال سعيد عبد الغنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص ١٧٧ - ١٧٨
- ٤٥ (د/ عبد العزيز الشناوي : مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ، ص ٩٣٨
- ٤٦ (أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مطبعة الكليات الأزهرية ، مصر ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٢٦٧
- ٤٧ (شفيق شوكت العمروسي : المكيون في مصر (دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسية) مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة العاشرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٦
- ٤٨ (عبد الرحمن الجبرتي : مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، لجنة البيان العربي ، ١٩٦٦ ، ص ٨٥
- ٤٩ (شفيق شوكت العمروسي : المرجع السابق ، ص ٥٦
- ٥٠ (د/ عبد العزيز نوار : النهضة العربية الحديثة (وثائق تاريخ العرب الحديث) ، الطبعة الأولى ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٢١
- ٥١ (عبد الرحمن الجبرتي : مصدر سبق ذكره ، ج ٥ ، ص ١٥ - ١٦
- ٥٢ (د/ عبد العزيز نوار : مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٩ - ١٣٠
- ٥٣ (نفس المصدر : ص ١٣٠ - ١٣١
- ٥٤ (جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار الهلال ، ١٩١١ ، ص ١١٢ - ١١٨ .
- ٥٥ (عزت حسن أفندي الدارندلي : مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٩
- ٥٦ (كريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٦
- ٥٧ (نفس المرجع والصفحة

- ٥٨ (كريستوفر هيرولد : المرجع السابق ص ٢٦٩)
- ٥٩ (هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧٨)
- ٦٠ (عبد الرحمن الجبرتي : مصدر سبق ذكره ، ج ٥ ، ص ١٨)
- ٦١ (د/ عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ص ٩٣٧ - ٩٣٨)
- ٦٢ (عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨)
- ٦٣ (نقولا الترك (المعلم) : مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧)
- ٦٤ (عبد الرحمن الجبرتي والشيخ حسن العطار : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، تحقيق : أحمد عبده على ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٨٣ ، وعزت حسن أفندى الدارندلى مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٦)
- ٦٥ (عزت حسن أفندى الدارندلى مؤرخ عثمانى معاصر للأحداث كالشيخ الجبرتي ولطف جحاف ، رافق الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا فى حملته لطرده الفرنسيين من مصر ، كلف من قبل الصدر الأعظم بأن يؤلف كتاباً فى الأحداث التى جرت فى مصر ، فألف مخطوطته الحملة الفرنسية على مصر فجاء مكملاً لوجهة نظر المؤرخين لأحداث الحملة من علماء الأزهر فى مصر وعلى رأسهم الشيخ الجبرتي : انظر مخطوطته (ضيائاتمة) مصدر سبق ذكره
- ٦٦ (شفيق شوكت العمروسى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٨ - ٥٩)
- ٦٧ (د/ سيد مصطفى سالم : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر ، نصوص مختارة عن المخطوطة اليمنية " درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين (١١٨٦ - ١٢٢٤ هـ / ١٧٧٥ - ١٨٠٩ م) ، تأليف / لطف الله جحاف ، مركز الدراسات اليمنية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٩٦)
- ٦٨ (نفس المصدر : النص الرابع من النصوص التى اختارها المحقق من مخطوطة لطف جحاف : ص ص ٩٦ - ١٠٤)
- ٦٩ (لطف الله جحاف : مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٦ - ١٠٤)
- ٧٠ (لم أعثر له على ترجمة ، ولكن المرادى ذكر ترجمة لأبيه محمد حياة السندى الذى ولد بالسند ثم انتقل منها إلى الحرمين الشريفين لتلقى العلوم والتحصيل ثم توطن المدينة المنورة ولازم الشيخ أبا الحسن بن عبد الهادى السندى فجلس مجلسه فى الدرس والتحصيل وظل على هذا الحال حتى وفاته فدفن بالبقيع ، وهو بهذا المولد يكون حجازياً من أصل هندى . انظر : (أبو الفضل) محمد خليل بن على المرادى : سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، المجلد الثانى ، الجزء الرابع ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٤)
- ٧١ (لطف الله جحاف : المصدر السابق ، ص ص ٩٦ ، ١٠٤)
- ٧٢ (أى اتباع الإمام زيد بن على (المذهب الزيدى)
- ٧٣ (لطف الله جحاف : المصدر السابق ، ص ص ٩٦ - ١٠٤)
- ٧٤ (حسام محمد عبد المعطى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٦٤ - ٦٥)
- ٧٥ (لطف الله جحاف : مصدر سبق ذكره ، ٩٦ - ١٠٤)
- ٧٦ (عبد الرحمن الجبرتي : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، ص ص ١٠٠ - ١٠١ . وعجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٥ ، ص ص ٤٢ ، ٤٣)
- ٧٧ (عبد الرحمن الرافعى : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ص ٣٥٣ ، ٣٧٢)
- ٧٨ (نفس المرجع والجزء ، ص ص ٣٥٣ - ٣٥٥)
- ٧٩ (نفس المرجع والجزء ، ص ص ٣٥٣ - ٣٥٥)
- ٨٠ (نفس المصدر : ص ٢٢٤ . وجدير بالذكر أن تجارة العبيد (الرقيق) كانت أهم سلعة تجارية فى ذلك الوقت ، حيث كانت تأتى فى الغالب الأعم من دارفور وسنار على مدار العام ، تلك التوافل المتخصصة فى بيع العبيد أو معظمها كانت تباع تجارها فى إسنا وأسيوط وبعض البلدان الأخرى بالصعيد بطريق الحملة للتجار الجلابة ومعظمهم من أبناء الصعيد أيضاً ، والذين قدر عددهم بستين فى المائة من تجار الجلابة ، وهؤلاء التجار كانوا يجلبون العبيد إلى القاهرة لبيعهم بنظام الرأس فى الأسواق المخصصة لهم والمعروفة باسم وكالة الجلابة ، على أنه كان هناك طريق آخر لبيعهم من القاهرة ليصدرها التجار إلى أوروبا وتركيا وسوريا وغيرها والنسبة كانت لها علاقة تجارية بمصر حينئذ . انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٠ ، ص ص ٢٤٦ - ٢٤٧)

- ٨١ (كريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٨ ، وجوزيف مارى مواديه : مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر ، ترجمة وتحقيق / كاميليا صبحى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٠٧ ، عبد الرحمن الرافعى : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٦٢)
- ٨٢ (جوزيف مارى مواديه : المصدر السابق ، ص ١٠٨)
- ٨٣ (هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨١)
- ٨٤ (نقولا الترك (المعلم) : مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧)
- ٨٥ (عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٥ ، ص ١٨)
- ٨٦ (لطف الله حجاف : مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦ - ١٠٤)
- ٨٧ (نفس المصدر والصفحات)
- ٨٨ (هنرى لورانس : مرجع سابق ، ص ٢٨١ . وكريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ٢٦٨)
- ٨٩ (نقول الترك (المعلم) : مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧)
- ٩٠ (عبد الرحمن الرافعى : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٦٢ - ٣٩٥ . وللمزيد من القناصل . انظر د/ زين العابدين شمس الدين نجم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩ - ٦٢)
- ٩١ (عبد الرحمن الجبرتى : مصدر سبق ذكره ، ج ٥ ، ص ١٩ - ٤١)
- ٩٢ (د/ عبد العزيز الشناوى : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، بدون تاريخ ، ص ٩٣٨ - ٩٣٩)
- ٩٣ (د/ زين العابدين شمس الدين نجم : مرجع سبق ذكره . ونبيل السيد الطوخى : صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧)
- ٩٤ (هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧٧)
- ٩٥ (كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٨)
- ٩٦ (هنرى لورانس : مرجع سابق ، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ . ونبيل السيد الطوخى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٥)
- ٩٧ (كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٢٧١)
- ٩٨ (عبد الرحمن الرافعى : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٩٢)
- ٩٩ (كريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٣)
- ١٠٠ (عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، ص ١٠٢ ، وجوزيف مارى مواديه : مصدر سبق ذكره ، ص ١٠١ - ١٠٤ .)
- ١٠١ (جوزيف مارى مواديه : المصدر السابق : ص ١٠٤)
- ١٠٢ (عبد الرحمن الرافعى : مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣٩٥ . وكريستوفر هيرولد : مرجع سابق الذكر ، ص ٢٧٤)
- ١٠٣ (كريستوفر هيرولد : المرجع السابق ، ص ٢٧٣)
- ١٠٤ (هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٨٥)
- ١٠٥ (عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، ص ١٠٢)
- ١٠٦ (هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧٨)
- ١٠٧ (عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، ص ١٠١ - ١٠٢)
- ١٠٨ (للمزيد انظر عنصر : تأثير فرمانات والبيانات العثمانية فى أهالى الحجاز ص ٢٣)
- ١٠٩ (انظر ص ١٠ من الدراسة)
- ١١٠ (لطف الله حجاف : مخطوطة بعنوان : درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين ، تحقيق ونشر . د/ سيد مصطفى سالم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٨ - ١٢٩ . وانظر محمد زكريا عنانى : مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون ورجال حملته على الشرق ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة السادسة ، جماد ثان ، إبريل سنة ١٤٠١ ، ص ٦)
- ١١١ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق ، (إضافات) ، مجلة الدارة ، العدد ٤ ، السنة ٢١ ، ١٤١٦ ، ص ٦)
- ١١٢ (الكوربيه دى ليجييت صحيفة فرنسية صدرت فى مصر باللغة الفرنسية خصيصاً لرجال الحملة وجنودها حتى لا يشعروا بأن وجودهم فى مصر هو نفى لا يستحقونه ، وإلى رجال الحكم فى فرنسا حتى يفتقوا أولاً بأول على أخبار الغزو وحتى تقوى روحهم

- المعنوية ، وهي صحيفة رسمية تقدم المعلومات بما يتماشى مع آراء القائد العام ، تولى مسئولية تحريرها مارك أوريل ، انظر هنرى لورانس : المرجع السابق ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠
- (١١٣) الكورييه دى ليجيب : صحف بونايرت فى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، ترجمة ونشر / صلاح الدين البستاني ، الطبعة الأولى ، دار العرب للنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٨٧
- (١١٤) هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٩
- (١١٥) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٦
- (١١٦) هنرى لورانس : المرجع السابق ، ص ٢٨١
- (١١٧) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سابق الذكر ، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦
- (١١٨) رسالة من بونايرت إلى شريف مكة فى ٢٥ أغسطس ١٧٩٨ ، ترجمة / محمد زكريا غنائى بعنوان : مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونايرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧
- (١١٩) تألف الديوان المصرى من قبل الفرنسيين والمعروف بديوان القاهرة فى ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٧٩٨ من علماء الأزهر الآتى ذكرهم : الشيخ محمد أبوالأنوار السادات ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ خليل البكرى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ أحمد العريش ، والشيخ موسى السرسى ، والسيد عمر مكرم (نقيب الأشراف) ، والشيخ محمد الأمير . د/ عبد العزيز الشناوى : صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - إبريل ١٩٦٩ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٩ . وللمزيد من التفاصيل حول موضوع الديوان انظر د/ مصطفى محمد رمضان : دور الأزهر فى الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ص ٩٢ - ٩٣ ، ١٥٦ - ١٥٧
- (١٢٠) عين الفرنسيون مصطفى بك كخدًا على إمارة الحج بدلاً من صالح بك أمير الحج السابق فأحضره إلى المحكمة وألبسوه لبس الأمير فى حضور شيوخ الديوان ، والتزم بونايرت أمامهم بجميع مهام الحج وعمل المحمل الجديد . عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، ص ٤٢
- (١٢١) الكورييه دى ليجيب : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ .
- (١٢٢) الكورييه دى ليجيب : المصدر السابق ، ص ٨
- (١) .
- (١٢٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، الجزء الأول ، حقيقته وعلق عليه د/ محمد بن ناصر الشثرى ، الطبعة الأولى ، دار الحبيب ، الرياض ، ١٩٩٩ ، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٧
- (١) .
- (١٢٤) سنت جون فيلبى : تاريخ نجد ، تعريب / عمر الديسراوى ، الطبعة الثانية ، مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٣
- (١٢٥) هنرى لورانس : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨١ ، وحسام محمد عبد المعطى : المرجع السابق ، ص ٥٨
- (١٢٦) الكورييه دى ليجيب : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧
- (١٢٧) رسالة من الشريف غالب بن مساعد إلى نابليون بونايرت فى سنة ١٢١٣ هـ ، ترجمة/ محمد زكريا غنائى ، بعنوان مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونايرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩
- (١٢٨) الكورييه دى ليجيب : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨
- (١٢٩) مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونايرت ورجال حملته على الشرق : مصدر سابق ، ص ٨
- (١٣٠) وبرغم أننا لم نعث على تلك اللائحة لكن منشور الجنرال عبد الله مينو (القائد الثالث للحملة) الذى أقره تضمن أمراً بإعادة تنظيم دواوين الجمارك التى وضعها نابليون وبخاصة حول الحجاز حيث تقرر إعادة الامتيازات والتسهيلات التى سبق ومنحها للشريف بشأن ما يورده إلى مصر من البن ، وهو ما خفف بعض أعباء التجار المصريين والفرنسيين ويسر التجارة مع شبه الجزيرة العربية ، كما خفض نسب بعض الضرائب على هؤلاء التجار على عهد سلفيه كليبر ومينو . انظر د/ أحمد حسين الصاوى : فجر الصحافة المصرية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
- (١٣١) مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونايرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، المصدر السابق ، ص ١٠
- (١٣٢) نفس المصدر والصفحة

- ١٣٣ (الكوربيه دى ليجييت : المصدر السابق ، ص ٩٥)
- ١٣٤ (تتمثل أهمية مسقط بالنسبة لبونابرت ولغيره وبالنسبة للصراع الفرنسى الانجليزى أنها مكان جيد لمراقبة إفريقيا والهند والخليج ، كما أنها مكان وسط بالنسبة لأرسال الرسائل سواء عن طريق البصرة - حلب ، أو طريق المخا ومنها إلى السويس ، أو بواسطة القوافل عن طريق مكة المكرمة ومنها إلى السويس ، ويستطيع القنصل الفرنسى فى مسقط فى الوقت ذاته فى المساعدة لإجراء اتصالات المندوبين الفرنسيين فى سورات ومدارس وكانتون بالهند مع فرنسا ، وعن طريقها أيضا يمكن الاتصال بأعداء الإنجليز وأصدقاء فرنسا كتيبو صاحب سلطان مسيور . انظر / سلطان محمد الفاسى : العلاقة العثمانية الفرنسية ١٧١٥ - ١٩٠٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ص ٥٠ - ٥١)
- ١٣٥ (الكوربيه دى ليجييت : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩)
- ١٣٦ (كريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠)
- ١٣٧ (نفس المرجع : ص ٢٣٠ ، وهنرى لورانس : مرجع سابق الذكر ، ص ٢٤٢)
- ١٣٨ (جوزيف مارى مواديه : مصدر سبق ذكره ، ص ٨١ ، ود/ ليلى عنان : الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير ، دار الهلال العدد ٥٦٧ ، القاهرة ، مارس ١٩٩٨ ، ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩)
- ١٣٩ (فى هذا الخطاب يحيط بونابرت إمام مسقط (سلطان بن أحمد) علما بوصول الجيش الفرنسى إلى مصر ، ويخبره بأن الصداقة الدائمة من قبل الإمام لفرنسا تجبر فرنسا فضلا عن رغبة بونابرت وقناعته الكاملة فى حماية كل السفن التجارية التي قد يرسلها إلى السويس ، ويرجوه إرسال الرسالة المرفقة إلى تيبو صاحب (سلطان مسيور) د / سلطان بن عمر الفاسى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧٧)
- ١٤٠ (جدير بالذكر أن تيبو صاحب عقب غزو الفرنسيين لمصر كان فى ذروة معاركه ضد البريطانيين فى الهند . انظر الكوربيه دى ليجييت : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠ . أما عن نص الرسالة فقد جاءت موافقة للأحوال فى الهند ولتيبو صاحب فنص الرسالة : القاهرة فى ٢٥ يناير سنة ١٧٩٩ إلى تيبو صاحب : لقد أحطتم علما من قبل بأمر وصولي إلى شواطئ البحر الأحمر على رأس جيش كثيف وافر العدد لا يقر ، مدفوعا برغبتي فى تخليصكم من السيطرة الحديدية الإنجليزية ، وأنتى ابادر بإحاطتكم برغبتي فى أن أتلقى أنباء تتعلق بأحوالكم السياسية فى الوقت الراهن ، كما أود أن تبعثوا إلى ببعض من رجالكم للتقاهم معهم . بونابرت . انظر د / عبد العزيز نوار : مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ .
- ١٤١ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ . وكريستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٤)
- ١٤٢ (د/ أحمد حسين الصاوى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٢ ، ١٨٨ .
- ١٤٣ (J . J marcel : contes du cheykh el mahdy , part 2 , paris , imprimeur de felix locouin rue motrdam uictaimes , N16 , 1833 PP 25-26)
- ١٤٤ (j Morcll : O P cit P 77-80 j . وعزت حسن أفندى الداردنلى : (مخطوطة) مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٠ .
- ١٤٥ (الكوربيه دى ليجييت : مصدر سبق ذكره ، ص ١٦)
- ١٤٦ (j Morcll : O P cit P 80-83)
- ١٤٧ (الكوربيه دى ليجييت : المصدر السابق ، ص ١٠٥)
- ١٤٨ (حسام محمد عبد المعطى : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٠)
- ١٤٩ (كانت مسقط فى نظر بونابرت تعد نقطة وسيطة بين مصر الفرنسية والهند البريطانية بشركتها ، وكانت معا (مصر والهند) هدفين رئيسيين بل جوهريين فى مشروع بونابرت نحو تقويض الإمبراطورية الانجليزية وقيام إمبراطورية فرنسية ، فمسقط كانت واسطة بين مصر الفرنسية والهند البريطانية التي كانت تذخر بثروات ، فضلا عن العناصر الوطنية المعادية للإنجليز والمتعاونة مع الفرنسيين وعلى رأسها تيبو على حيدر صاحب (حاكم مسيور) د / عبد العزيز نوار : مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢)
- ١٥٠ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، ترجمة / محمد زكريا عناني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦)
- ١٥١ (جزيرة فرنسا أو أيل دى فرانس والتي كانت تقوم عليها العلاقات التجارية النشطة بين فرنسا ومسقط ، كما كانت القاعدة بين عرب عمان ووساطتهم بين تيبو صاحب سلطان مسيور بالهند والفرنسيين . للمزيد من التفاصيل انظر د/ محمد عبد الله المرسى :

- إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ - ١٨١٨ ، الجزء الأول ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٦٢ - ١٦٨ .
- ١٥٢ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) : المصدر السابق ، ص ص ١٦ - ١٧
- ١٥٣ (د/ أحمد حسين الصاوى : مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٥
- ١٥٤ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) المصدر السابق ، ص ص ١٣ - ١٦ . وكيرستوفر هيرولد : مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٧
- ١٥٥ (عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٥ ، ص ص ٤٧ - ٤٨
- ١٥٦ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٤ - ٢٥
- ١٥٧ (عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٥ ، ص ٤٧
- ١٥٨ (رسالة الشريف غالب إلى إمام اليمن رقم ١٤ ، ورد الإمام على الشريف رقم (١٥) ، مخطوطة لطف الله جحاف ، مصدر سبق ذكره ن ص ص ١٤٢ - ١٤٤
- ١٥٩ (الكوربيه دى ليجييت : مصدر سبق ذكره ، ص ٧٧
- ١٦٠ (نفس المصدر والصفحة
- ١٦١ (نفس المصدر : ص ١٠٢
- ١٦٢ (عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٥ ، ص ص ٤٧ - ٤٨
- ١٦٣ (عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٥ ، ص ٤٨ . ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ص ١٠٥
- ١٦٤ (رسالة من الشريف غالب إلى بوسيليج (مدير أمور جمهورية فرنساوية) مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣
- ١٦٥ (نفس المصدر والصفحة
- ١٦٦ (الكوربيه دى ليجييت : مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٤ . يذكر فى خطاب موجه من قائد قافلة حجاج مراكش إلى بوسيليج أن هؤلاء الحجاج عقب عودتهم من المدينة المنورة إلى القصير تعرض لهم حشد من العرب مما أدى إلى مقتل بعضهم ودفعهم إلى سلوك طريق آخر إلى القدس عندما طلب منهم أمير الحج ذلك وتبين أنه دسيسة تدبر ضد الفرنسيين ، نفس المصدر : ص ١٣٤
- ١٦٧ (نفس المصدر : ص ١٣٤
- ١٦٨ (نفس المصدر ، ص ص ١٣٤ - ١٣٥
- ١٦٩ (مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٤ - ١٥
- ١٧٠ (الصرة الرومية كانت ترسل من قبل سلاطين بنى عثمان إلى أهالى الحجاز وتضم أوقاف عدد كبير من أوقاف السلاطين والباشوات والأمراء مثل الدشيشة الكبرى والمرادية والأحمدية والخاصكية ، ثم قرر السلطان سليم الأول إرسال هذه الصرة من مصر إلى الحجاز لإنفاقها على أهالى الحرمين الشريفين . حسام محمد عبد المعطى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٠
- ١٧١ (وقف الدشيشة الكبرى: يضم هذا الوقف جميع الأوقاف التى حبسها معظم السلاطين المماليك قايتباى وجقمق والأمير تنم، إضافة إلى ماحبسه كل من السلطان سليم الأول وابنه سليمان القانونى إليهما من أوقاف والتى قاربت حوالى ستون قرية فى أقاليم مصر : نفس المرجع ص ٢٧٥
- ١٧٢ (وقف المحمدية : أوقفه السلطان محمد الثالث (١٥٩٤ - ١٦٠٣) وهو عبارة عن مساحات عديدة فى عدة قرى مختلفة شملت ٢٦ قرية تقريباً فى أقاليم مصر المختلفة مثل الدقهلية والمنوفية والشرقية والقليوبية والفيوم والبهنسا والغربية للصرف منها على أهالى الحجاز . نفس المرجع : ص ص ٢٨١ - ٢٨٢
- ١٧٣ (جوالى الحرم : وهى ضريبة يرجع إنشائها إلى ضريبة الجزية التى فرضت على أهل الكتاب منذ العصر الإسلامى الأول ، وخلال العصر العثمانى وتحديدا فى عصر السلطان سليمان القانونى قرر أن الجزء الأكبر من أموال الجوالى تعطى لعلماء الدين فى الحرمين الشريفين ، ومنذ ذلك العهد أضحت تلك الضريبة المصرية مخصصة لأهالى الحجاز وترسل صحبة الصرة الرومية مع أمير الحج . نفس المرجع : ص ٢٩٤

١٧٤) صرة شريف أو أشرف مكة وهى مخصصات أقدقتها الدولة العثمانية على أشرف مكة نظرا لما يتمتعون به من مكانة خاصة خاصة لقرابتهم للنبي ﷺ ولسيطرتهم على مقاليد الأمور فى الحجاز وتوجيههم للقبائل العربية طبقا لمصلحتهم ، ولهذا خصصت لهم هذه الصرة من الأوقاف ، فضلا عن بعض المبالغ المالية الاستثنائية نظير تكليف بعضهم للقيام ببعض المهام . نفس المرجع ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

١٧٥) مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٦-١٧ .

١٧٦) عبد الرحمن الجبرتي : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، ص ١٠٦ .

١٧٧) مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٨-١٩ .

١٧٨) مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٢-٢٦ . و د / أحمد حسين الصاوى : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المطبوعة :

- إسماعيل بن سعد الخشاب : مخطوط بعنوان " أخبار أهل القرن الثانى عشر ، تحقيق / عبد العزيز جمال الدين وعماد أبو غازى ، الطبعة الأولى ، العربى للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- الكورييه دى ليجيب : صحف بونابرت فى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، ترجمة / صلاح الدين البستاني ، الطبعة الأولى ، دار العرب للنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- جوزيف مارى مواديه : مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر ، ترجمة وتحقيق / كاميليا صبحى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ .
- د / سيد مصطفى سالم : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر ، نصوص مختارة عن المخطوطة اليمنية " درر نحو الحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين (١١٦٨ - ١٢٢٤ هـ / ١٧٧٥ - ١٨٠٩ م) ، تأليف / لطف الله جحاف ، مركز الدراسات اليمنية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، الجزان الثانى ، والخامس ، تحقيق : حسن جوهر ، عمرو الدسوقي ، السيد إبراهيم سالم ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- عبد الرحمن الجبرتي والشيخ حسن العطار : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ، تحقيق / أحمد عبده على ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٨ .
- د / عبد العزيز نوار : النهضة العربية الحديثة (وثائق تاريخ العرب الحديث) الطبعة الأولى ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، الجزء لأول ، حققه وعلق عليه : د/ محمد بن ناصر الشثري ، الطبعة الأولى ، دار الحبيب ، الرياض ، ١٩٩٩ م .
- عزت حسن أفندى الدارندلى : الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى ، ترجمة / جمال سعيد عبد الغنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .
- محمد زكريا عنانى : مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق (إضافات) ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة السادسة ، جماد ثان / إبريل ، ١٤٠١ ، والعدد ٤ ، السنة ٢١ - ١٤١٦ هـ .
- نقولا الترك (المعلم) : ذكر جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية ، أو الحملة الفرنسية على مصر والشام ، حققه / العميد الركن الدكتور / ياسين سويد ، الطبعة الأولى ، الفاربي ، بيروت ، ١٩٩٠ .

ثانيا الدراسات والمؤلفات :

أ - العربية :

- أحمد بن زيني دخلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ، مطبعة الكليات الأزهرية ، مصر ، ١٣٠٥ هـ .
- د / أحمد حسين الصاوى : فجر الصحافة المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- د/ السيد محمد الدقن : دراسات فى مصر العثمانية ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .

- د / إلهام محمد ذهني : مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ .
- جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار الهلال ، ١٩١١ .
- حسام محمد عبد المعطى : العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .
- د/ دانيال كريستيلوس : جذور مصر الحديثة ، ترجمة / عبد الوهاب بكر ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٥ .
- روبير سوليه : مصر ولع فرنسي ، ترجمة د / لطيف فرج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .
- د / زين العابدين شمس الدين نجم : دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- سلطان محمد الفاسي : العلاقات العثمانية الفرنسية ١٧١٥ - ١٩٠٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ .
- سنت جون فليبي : تاريخ نجد ، تعريب عمر الديسراوى ، الطبعة الثانية ، مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- د / شوقي عطا الله الجمل : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
- د / عبد الجواد صابر إسماعيل : مصر في العصر العثماني ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- عبد الرحمن الرفاعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم في مصر ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٨١ .
- د / عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ .
- د / عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ج ٢ ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ .
- د / عبد العزيز الشناوى : صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر ، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس - أبريل ١٩٦٩ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- د / عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .
- ك . م بانكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة / عبد العزيز توفيق جويد ، دار المعارف ، ١٩٦٢ .
- كريستوفر هيرولد : بونابرت في مصر ، ترجمة / فؤاد اندرواس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .
- لويس بوركهات : قافلة الحبر والرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية (١٧٦٢ - ١٩٥٠) ، ترجمة / سمير عطا الله ، دار الساقي للنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- (أبو الفضل) محمد خليل بن علي المرادى : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- د / محمد عبد الله المرسى : أمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ - ١٨١٨ ، الجزء الأول ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- د / مصطفى الحفناوى : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ، ج ١ ط ٢ ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦ .
- د / مصطفى محمد رمضان : دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى ، الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- هنرى لورانس : الحملة الفرنسية على مصر ، ترجمة / بشير السباعي ، ط ١ ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

ب - الأجنبية :

J . J marcel : contes du cheykh El mahdi , part 2 , paris , imprimeur de felix locouin rue motrdam uictaimcs , N161833 .

ثالثا الدوريات :

- شفيق شوكت العمروسى : المكيون في مصر (دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسية) مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة العاشرة ، ١٩٨٤ .
- د / ليلى عنان : الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير ، دار الهلال ، العدد : ٥٦٧ ، القاهرة ، مارس ١٩٩٨ .